

دار النبلاء

الطبعة الثانية

١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م



دار النبلاء

بيروت ـ لبنان ـ حارة حريك: شارع القسيس خلف البلدية . تلفاكس : ٠١/٥٤١٩٣٠

المقدمة

من هو بهلول ؟

كان الخليفة العباسي ـ هارون الرشيد ـ حريصاً كلّ الحرص على الملك العضوض بحيث كان يتخذ الذرائع في القضاء على مخالفيه وازاحتهم عن الطريق مهما كلّف الأمر.

وكان محبوب قلوب المؤمنين آنذاك الامام موسى الكاظم عليه السلام على رأس هؤلاء المخالفين، حيث كان يشكّل خطراً كبيراً على هارون الرشيد. حاول الرشيد جاهداً في كسب تأييد علماء المسلمين المبرّزين وإقناعهم بالافتاء بخروج موسى الكاظم عليه السلام ومروقه عن الدين، وبذلك كان يمهّد ارضية المواجهة مع الامام عليه السلام.

ولما كان البهلول من علماء ذلك الوقت أراد هارون الرشيد اجباره على التوقيع في ورقة اصدر فيها امره بقتل الامام الكاظم عليه السلام.

ذهب البهلول إلى الامام عليه السلام وأخبره بذلك وطلب منه أن يهديه سبيلاً للخلاص من هذه الورطة، فأمره الامام عليه السلام أن يتظاهر بالجنون ليكون في امان من سطوة هارون.

تظاهر البهلول بالجنون، وكان بهذه الذريعة يهزأ ويطعن بالنظام الحاكم بلسان الكناية والمزاح.

اسم بهلول ـ هذا الرجل العظيم ـ وهب بن عمرو، والبهلول اسم

يجمع خصاله الحسنة التي كان يتصف بها، فقد كان جميلاً فكهاً.

كان البهلول يتصف بصفتين:

الاولى: موقعه العلمي والاجتماعي.

الثانية: قرابته من هارون الرشيد.

وهاتان الخصلتان كانتا السبب في عدم تورّعه من هارون الرشيد وعمّاله، حتى أنه كان يدخل عليه أي وقت شاء ويتكلم بما يريد، فكان مصداقاً للقول المعروف: «المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه».

فلنسايره في طريقه، ولنستمع لحلو كلامه لنزيح به عن ابداننا الأتعاب ونهوّن علينا بقصصه الصعاب.

العمل لوجه الله تعالى

مرّ البهلول يوماً بمسجدٍ ـ لم يتم بناؤه بعد ـ في محلة من محالّ بغداد ليطّلع على بنائه، فلما رأى المسجد لم يكترث بشكل بنائه وزخرفة جدرانه وسقفه وقبّته، وكأنّه كان يخبّىء شيئاً في نفسه، ثم إنه نظر من خارج المسجد إلى لوحة خشبية كبيرة معلّقة على جدار المسجد مكتوب عليها: مسجد الشيخ جمال.

والشيخ جمال هذا، رجل يحب الشهرة ويحب أن يطّلع الناس على افعال البر التي كان يقوم بها، وكان بهلول يعرف ذلك تماماً.

غرق بهلول في تفكيره بالمسجد ولوحته واذا به قد أحس بثقل يدٍ على كتفه، فلما التفت إلى خلفه رأى الشيخ جمال وهو مبتسم، وقد حدّق النظر اليه، ابتدره بهلول قائلاً: «السلام عليكم».

رفع الشيخ جمال يده عن عاتق البهلول وأجابه بتلك الابتسامة: «وعليكم السلام».

قال البهلول: «إنه مسجد كبير وحسن البناء».

خطا الشيخ جمال خطوة إلى الامام وساير بهلولا، ثم قال: «أسأل الله القبول».

قال بهلول ـ وكأنّ شيئاً قد لفت نظره ـ: «اريد أن أسألك عن

شيء إلا أني لا أدري أسألك عن ذلك أم لا؟».

قال الشيخ: «لا بأس عليك، سل فاني أرجو أن أملك لسؤالك جواباً مقنعاً».

حرّك بهلول رأسه وقال: «طبعاً، هو كذلك»، الّا انه بعد ذلك مكث قليلاً ثم قال: «لمن بنيت هذا المسجد؟».

لم يكن الشيخ جمال يتوقع مثل هذا السؤال، ومكث يفكر قليلاً فخطر على ذهنه أن بهلولاً رجل مجنون، ولا ينبغي العجب من المجنون أن يسأل مثل هذا السؤال، فأجابه قائلاً: «وهل يكون بناء المسجد لغير الله؟!».

قال البهلول: «نعم، نعم الأمر كما تقول، لن يدع الله عملك بلا أجر، إنه لن ينسى اجر ذلك أبداً».

لم يتكلم الشيخ جمال بعد ذلك بشيء لأنه لا يفهم ماذا يريد البهلول منه بالضبط، لذا اخذ يخطو خطوات قصيرة لكن متواصلة حتى ابتعد عن بهلول.

وفي صباح الغد علا صوت الشيخ جمال بالصياح امام المسجد الذي بناه بحيث يسمعه كلّ من يمرّ بالمسجد، وهو يقول: «أيها الناس، اشهدوا على ما قام به بهلول، انه يدعي تملّك هذا المسجد... أيها الناس...».

وكان الحق في ذلك مع الشيخ جمال، فان اللوحة الخشبية مكتوب عليها «مسجد بهلول» لذا اصاب الشيخ جمال الدوّار في رأسه من شدة الصدمة، وبُحَّ صوته من كثرة الصياح، ذلك أنه لم

يخطر على باله يوماً أن شخصاً مثل بهلول يأتي ويكتب اسمه على لوحة المسجد الذي بناه الشيخ، فكيف تجرّأ بهلول على مثل هذا العمل؟ لكن مع ذلك، فقد كان الشيخ يخبّىء لهيب غضبه، ويهدىء نفسه بما يخطر على باله بأن بهلولاً رجل مجنون، لكن سرعان ما يجيب به نفسه، فيقول: «إن للجنون حداً، أليس يعلم الناس من بنى المسجد، فقد سمعنا بكل ما يصدر عن المجانين إلّا مثل هذه الاعمال، آه... إنه يريد أن يكون المسجد باسمه، لكني سوف أعطيه درساً لن يجرأ بعده على مثل ذلك أبداً... سوف أُريق ماء وجهه امام الناس».

اجتمع عمّال بناء المسجد حول الشيخ جمال ليستمعوا ما يقول، واذا به صاح فجأة بصوتٍ عالٍ وغضب: «هلموا بنا لنبحث عن بهلول كي نعطيه درساً لا يتجاسر بعده على حقوق الآخرين».

ذهب هو مسرعاً وتبعه بعض عمال البناء الذين كانوا يتحيّنون الفرص للهروب من العمل، قائلين للشيخ: «نحن نأتي معك يا شيخ للبحث عن بهلول».

توجه كلّ منهم إلى جهة، فلم يستغرق البحث عن بهلول أكثر من ساعة حتى عثروا عليه، فجاؤا به إلى المسجد، وكان يسبقهم في ذلك الشيخ جمال الذي استولى عليه الغضب، فلما واجه الشيخ بهلولاً وجهاً لوجه ـ وقد كادت عيناه تخرجان من الحدقتين ـ صاح بصوتٍ عالٍ: «أيها المجنون، ما حملك على ما فعلت؟».

نظر بهلول إلى من حوله، وقال بسكينة: «وما فعلت؟».

حدّق الشيخ جمال بوجه بهلول، وقال: «إنك لن تجرأ على الاعتراف بذنبك امام الملأ، أليس كذلك؟».

أجابه بهلول وكأنه لا يعلم شيئاً: «وهل أذنبت؟ وما هو ذنبي؟».

تضاحك الشيخ جمال والغضب قد استولى عليه، فأشار بيده إلى لوحة المسجد، وقال: «وهل يجرأ غيرك أن يكتب اسمه على لوحة مسجد بناه غيره؟».

ألقى بهلول ببصره إلى لوحة المسجد ثم صرف بصره وكأنه لم ير شيئاً ذي بال، وقال بهدوء: «إن كنت تريد بذلك هذا ـ وأشار إلى اللوحة ـ فاني فعلته».

أخذ غضب الشيخ يزداد لحظة بعد اخرى حتى صاح ببهلول: «هل انت بنيت المسجد لتكتب اسمك عليه؟».

رفع بهلول رأسه ـ مرة أخرى ـ إلى لوحة المسجد وأجاب: «اني لم ابنِ هذا المسجد، لكني كتبت اسمي عليه».

أمسك الشيخ جمال بهلولاً من تلابيبه والتفت إلى الحاضرين، وقال: «انظروا، إنّه يعترف بذنبه، إنّه اعترف».

ارتفع صوت الحاضرين بالكلام، فكل منهم تراه يقول شيئاً، لكن بهلولاً لم يرعوي لكلامهم، وأشار اليهم بيده أن اسكتوا، فسكتوا وسكت الشيخ جمال، وتجددت لبهلول الجرأة على رد الشيخ وقال: «أيها الشيخ، أسألك عن شيء أحب أن تصدقني فيه».

قال الشيخ: «ولماذا الكذب».

قال بهلول: «بالأمس التقيت بك في هذا المكان وتكلمنا قليلاً، ثم سألتك: لمن بنيت هذا المسجد؟ قلت: أُريد به وجه الله تعالى».

قال الشيخ جمال: «واضح وجه من اريد ببنائه، فقد قلت بالأمس واليوم اكرر وأقول: إني أردت بذلك وجه الله».

تبسّم بهلول وقال بصوتٍ عالٍ: «تقول لله! فهل الله يعلم بأنك أردت وجهه أم لا ؟».

أجابه الشيخ بغضب: «مع أني لا أرغب في اطالة الكلام معك، اقول: نعم، إن الله يعلم بذلك، كي لا تكون لك الحجة عليّ عند القاضي».

سكت بهلول هنيئة ليلفت بذلك الأنظار اليه، ثم قال: «أيها الشيخ، إن كنت قد بنيت هذا المسجد لله فلا ضير عليك أن يكون باسمك أو باسم غيرك، لكن اعلم أنك قد أردت بذلك وجه غير الله، نعم أردت به الشهرة، فقد أحبطت بذلك أجرك».

كان كلام البهلول يحمل في طيّاته حقيقة مرّة أيقظت الشيخ جمال من نوم الغفلة، فماذا عليه بعد ذلك أن يقول؟

لقد ألجم بهلول الشيخ بذلك فأسكته، واستحسن الحاضرون جواب البهلول، ولم يتكلم أحد بعده بشيء.

قال البهلول ـ وهو يمشي مشياً تقاربت خطاه ـ للشيخ جمال: «أُريد أن ارفع اللوحة التي تحمل اسمي من على المسجد».

أراد الشيخ أن يقول شيئاً لكن الكلمات تلكّأت على شفتيه فسكت.

خطـا البهلول خطوات نحو اللـوحة لكـنه رجـع والتـفت إلى الحاضرين قائلاً: «أردت بذلك الكشف عن حقيقة، وهي أن تـعلموا أن العمل إن كان لوجه الله تعالى فلا يضرّكم ما يكون رأي الناس فيه ما دام الله هو المطّلع على حقائق الامور» ثم انصرف ليرفع اللـوحة التي كتبها باسمه.

استشارة العاقل والمجنون

كان البهلول وعلى عادته يمشي يوماً في أزقة بغداد، فلقيه رجل تاجر، فقال لبهلول: «اريد استشارتك في أمر التجارة».

قال بهلول ـ وكان بيده خيزران ضرب بها كفه الاخرى بهدوء ـ: «وما الذي عدل بك عن العقلاء حتى اخترتني دونهم؟» ثم مكث هنيئةً فقال: «حسناً، ما الذي أردت استشارتي فيه؟»

قال التاجر ـ ولم يزل يرفع عينيه من يدي بهلول ـ: «إن عملي التجارة، فأردت شراء متاع احتكره ثم أبعه لمن يدفع لي فيه ثمناً باهضاً».

ضحك البهلول حتى بان ضرساه، وقال: «إن أردت الربح في تجارتك فاشترِ حديداً وفحماً».

شكره التاجر على ذلك وانطلق إلى السوق، ثم فكّر في كلام بهلول جيداً فرأى أن من الأفضل أن يأخذ بكلامه، فاشترى حديداً وفحماً وأودعهما في المخزن، حتى مضت عليهما مدة مديدة ولا زالا على حاليهما في المخزن، ولمّا احتاج التاجر إلى ثمنهما وكان قد ارتفع تلك الايام سعرهما، باعهما بأفضل ثمن، وربح عليهما ربحاً كثيراً.

لكن وللأسف ايها الاصدقاء الأعزاء، أثّرت هذه الثروة على سلوك رجل قصتنا التاجر كما تؤثر غالباً على سلوك الكثير من الناس عند ثراهم، حيث تجدهم يفقدون صوابهم ويتغيّر منطقهم وسلوكهم، فتراهم ينقلبون من هذا الوجه إلى ذاك الوجه.

وهكذا كان التاجر، فقد اغترّ بنفسه غروراً عجيباً، حتى لم يكد يعدّ للناس وزناً، وأخذ يتحدث هنا وهناك عن عقله وذكائه وفطنته.

وذات يوم مرّ التاجر ببهلول، لكن التاجر لم يُعِر هذه المرّة لبهلول أهمية، ولم يشكره على ما اشار عليه سابقاً بل اثار بوجه بهلول الغبار، وسخر منه، وقال: «أيها المجنون، ما الذي أشتري وأحتكر ليعود عليّ بالربح؟».

ضحك بهلول وقال: «اشترِ ثوماً وبصلاً وأودعهما في المخزن».

خطا التاجر خطوات ثم رجع إلى بهلول وقال بلغة الغرور والعجب: «عليك أن تفتخر بمشورة تاجر موفق وشهير مثلي إياك».

لم يجبه بهلول بشيء وبهت لجهل التاجر وغروره.

رصد التاجر لشراء الثوم والبصل كلّ ما يملك من اموال، وذهب صباح الغد إلى السوق لشرائهما على أمل الربح الكثير ببيعهما.

وبعد أشهر مضت على البصل والثوم ـ وهما في المخزن ـ جاء التاجر وفتح ابواب المخزن ـ وهو لا يعلم ما ينتظره من خسران مبين ـ فوجد الثوم والبصل قد تعفّنا ونتنا، حينها ضرب التاجر بكلتا يديه على أمّ رأسه وصاح «يا للخيبة ... يا للخسران».

لم يكن أحد يرغب في شراء مثل هذا البصل والثوم المتعفنين، بل لابد من رميه في المزابل لأن رائحته النتنة انتشرت في كلّ مكان، ممّا اضطر التاجر أن يستأجر عدّة نفر ليحملوا هذا المتاع الفاسد إلى خارج المدينة ويدفنوه في الأرض.

امتعض التاجر من بهلول وازداد حنقاً عليه وغضباً لأنه فقد رأس ماله بسبب بهلول، فأخذ يبحث عنه في كلّ مكان حتى عثر عليه، فلما رآه أخذ التاجر بتلابيبه وقال: «أيها المجنون، ما هذا الذي أشرت به عليّ، لقد أجلستني على بساط الذلة والمسكنة».

خلّص بهلول نفسه من التاجر، وقال: «ماذا حدث؟».

قصّ التاجر على بهلول ـ وصوته يرتعش من شدة الغضب ـ ما جرى له.

سكت بهلول عن التاجر هنيئة ـ وهو يعلم عمّ يتحدث التاجر ـ حتى سكت الغضب عنه، ثم قال له: «لقد استشرتني أولاً فخاطبتني بخطاب العقلاء فأشرت عليك بما يشيرون، لكنك لما أردت استشارتي ثانياً خاطبتني بخطاب المجانين فأشرت عليك بمشورتهم، فاعلم أن ضرّك ونفعك مخبوئان تحت لسانك، إن خيراً فخيراً، وإن شراً فشرّاً».

أطرق التاجر إلى الأرض وهو لم يُحر جواباً، فتركه بهلول وانصرف عنه.



ثمن الجنّة

مرّت زبيدة زوجة هارون الرشيد ـ الخليفة العباسي ـ ببهلول وهو يلعب مع الصبيان ويخطّ على الأرض بإصبعه، فلمّا رأت زبيدة ذلك تأملت فيما يصنع ثم قالت له: «ماذا تفعل؟».

قال بهلول للصبيان وهو يخطّ تراب الأرض بإصبعه: «لا تهدموا البيت الذي بنيته» ثم التفت إلى زبيدة وقال: «أما ترين أني مشغول ببناء البيت؟».

أرادت زبيدة مساعدة بهلول إلّا أنها كانت تعلم أنه يرفض ذلك، تأملت قليلاً ثم قالت: «أراك تبني بيتاً جميلاً يليق بالعظماء، وها أنا أرغب في شرائه منك».

أجابها بهلول وهو منكّس رأسه إلى الأرض يخطّ على ترابها بإصبعه: «هذا البيت؟ نعم، ابعه إيّاك».

نظرت زبيدة إلى الخطوط المعوجّة التي رسمها بهلول على الأرض وقالت: «اشتريت منك هذه الدار، فكم يكون ثمنها؟».

قام بهلول على قدميه وسوّى ظهره، وقد كانت بيده عصا أشار بها إلى الصبيان، وقال: «بألف دينار لي ولهؤلاء الذين أعانوني في بنائها».

اشارت زبيدة إلى أحد خدمها وقالت: «إعطه ألف دينار» ثم انصرفت عنه.

أخذ بهلول الدنانير ـ وكانت سككاً ذهبية ـ وقسّمها بين الفقراء، فلم يبق في كيسه دينار واحد.

مضت على هذا الحدث عدّة ايام، وذات ليلة رأى هارون الرشيد في المنام أمراً عجيباً، رأى كأنه يساق إلى الجنة، فلما بلغ أبوابها، قيل له: هذا قصر زوجتك زبيدة، فلما أراد الدخول منعوه من ذلك.

وفي صباح اليوم التالي قصّ هارون رؤياه على علماء قصره فقالوا له: «سل زبيدة عمّا فعلت من البرّ؟» فلما سألها أخذت تفكّر في العمل الذي استحقت من أجله قصراً في الجنة، فلم تتذكر شيئاً سوى أنها أعطت لبهلول ألف دينار، وقصّت خبرها في ذلك على هارون.

أدرك هارون الرشيد ضرورة البحث عن بهلول ليشتري منه بيتاً، البيت الذي ليس له في هذه الدنيا قرار لكنه يكون في الآخرة قصراً مشيداً، فأين بهلول؟

خرج هارون من قصره ومعه أحد أقربائه يبحث عن بهلول فوجده في إحدى أزقة بغداد جالس وحوله عدّة صبيان، وهو ـ بهلول ـ يخطّ تراب الأرض بإصبعه.

حاول هارون التظاهر بعدم الإكتراث ببهلول، فقال: «أرى أقرب أقربائي يلعب مع الصبيان ويعبث بإصبعه على التراب».

أجابه بهلول وهو يخطّ بإصبعه الأرض: «نحن نتمتع بما رزقنا الله في هذه الدنيا، وها أنت ترى أني مشغول ببناء بيت على أرض الله لكي أبعه».

قال هارون بكل سرور وصوته يرتعش: «ليس قصور الملوك كالبيوت التي أنت مشغول ببنائها، إلا أني مع ذلك أود في شراء أحدها».

رفع بهلول اصبعه من التراب ووضعه نصب عينيه ثم اغمض إحدى عينيه وأخذ ينظر إلى اصبعه بعينه الاخرى، ثم اشار إلى الأرض بإصبعه وقال: «هل تشتري مثل هذا البيت؟».

جثا هارون على ركبتيه إلى جانب تلك الخطوط التي رسمها بهلول، وقال: «رضيت بهذه الدار، وإني قد اشتريتها منك».

نظر بهلول لهارون نظرة متأمل، ثم هزأ منه ضاحكاً وقال: «ثمن هذه الدار باهض جداً».

قال هارون وهو يتظاهر بعدم المبالاة بضحك بهلول ـ: «كلّ ما تعلقت به رغبتنا وأردناه لا يصعب علينا الحصول عليه وإن كان ثمنه باهضاً».

ذكر بهلول آلاف الأكياس من الذهب والبساتين الكبيرة والأموال الطائلة قيمةً لتلك الدار.

سكت هارون الرشيد حتى أتم بهلول كلامه، والغضب قد استولى عليه، لأن ما طلبه بهلول لم يكن بالشيء القليل، فانه لو جُمعت ثروات جميع الأغنياء وتكدّست على بعضها لم تبلغ معشار

ما طلبه بهلول ثمناً لداره.

فما هو اللغز الكامن في كلام بهلول، وما يريد من وراء ذكره هذا الثمن الخيالي؟.

أراد هارون أن يعرف السرّ في ذلك، ولذا قال لبهلول: «لقد بعت عين هذه الدار من زبيدة بثمنٍ أقل من ذلك بكثير، فقد بعتها منها بألف دينار، ولما أردت شراءها منك أراك تقول قولاً شططاً؟!».

نهض بهلول من الأرض وبعثر ما كان قد رسمه على الأرض بأطراف أصابع قدمه، وقال: «ليعلم الخليفة أن بينه وبين زوجته زبيدة فرقاً شاسعاً، فان زبيدة اشترت وهي لم تر، وأنت رأيت وتريد أن تشتري» ثم عاد مرة اخرى يلعب مع الصبيان.

﴿ أبو حنيفة وبهلول ﴾

كانت دار أبي حنيفة في إحدى محال بغداد القديمة، وكان جماعة من طلّاب العلوم الاسلامية يقصدون هذه الدار يومياً للحضور في درس أبي حنيفة الذي كان يعقده فيها، وفي أحد الأيام دخل بهلول دار أبي حنيفة وجلس في غرفة الدرس.

فسح الحاضرون المكان لبهلول عندما رأوه يدخل لكنه جلس عند الباب، ثم مدّد إحدى رجليه وثنى الاخرى وأخذ يستمع إلى أبي حنيفة.

كان لأبي حنيفة طلّاباً كثيرين جداً بحيث كانوا يعدّون أُستاذهم من اعلم علماء بغداد.

تكلّم أبو حنيفة وقال: «اعلموا أن جماعة من المسلمين[1] يعتقدون أن ابليس يُعذّب يوم القيامة بالنار، وإني اخالف ذلك».

قال أحد التلاميذ وقد أسند ظهره إلى جدار الدار: «أيها الشيخ، ما هو دليلك على ما تقول؟».

قال أبو حنيفة ـ بعدما سعل قليلاً ـ: «نعم، إن إبليس مخلوق

---

(١) يقصد بذلك الشيعة.

من النار، وجهنم هي النار، فكيف تحرق النار نفسها؟».

أخذ الجالسون ينظر أحدهم بوجه الآخر لكن لم يجرأ أحد على التفوّه بشيء.

أخذ أبو حنيفة ـ كالفارس المنتصر في الميدان ـ ينظر إلى الحاضرين نظرة عجب وغرور، لكنه لم يغفل عن بهلول الذي كان واضعاً يديه تحت ابطيه وينظر إلى أبي حنيفة نظرةً هادئةً.

استأنف أبو حنيفة الكلام ـ بعد فاصل قليل ـ فقال: «الأمر الآخر الذي لا ارتضيه، هو ما تعتقده هذه الطائفة من المسلمين حيث يعتقدون بأن الله تعالى لا تمكن رؤيته، إذ كيف يكون الشيء موجوداً ولا يمكن رؤيته؟».

قطع أبو حنيفة كلامه هنيئةً ليرى مدى تأثير ما ذكره على الحاضرين، لكن هذه المرّة كان السكوت مخيّماً على المجلس أكثر من السابق.

قال أبو حنيفة بصوت أعلى: «أيّها الناس، انهم يقولون بأن الله تعالى خالق كلّ شيء، ومع ذلك يعتقدون بأن الانسان فاعل مختار في فعله، وهذا يعني الجمع بين الجبر والاختيار وهما مستحيلان عقلاً...».

قال أحد الحاضرين: «ما هو رأيك في ذلك يا شيخ؟».

مرّ أبو حنيفة يده على ناصيته ثم قال: «إعلموا أن كلّ شيء ـ في رأيي ـ هو من الله تعالى، وأن الانسان غير مختارٍ في أفعاله».

عرف أبو حنيفة أن كلامه أثّر في قلوب الحاضرين، وأنه تمكّن

من إقناعهم بأفكاره، وكان يحب أن يفصح عن عقائده أكثر لولا حيلولة ما حدث له في مجلس الدرس، فإنه فوجأ بحجرٍ اصاب جبينه فأدماه، وبذلك زالت أفكاره واضطرب المجلس، التفت الحاضرون إلى بهلول وهم يتساءلون: «لماذا فعل بهلول ذلك؟!».

دار جماعة من المقرّبين لأبي حنيفة ببهلول والغضب يتطاير من أعينهم من دون أن يجرأ أحد منهم على إهانته لقرابته من الخليفة، فإنه لو كان أحد غير بهلول فعل بأبي حنيفة ذلك لم يكن يخرج من المجلس سالماً بل كان ينهك ضرباً من قِبل أتباع أبي حنيفة.

نظر أبو حنيفة إلى بهلول وهو ـ أبو حنيفة ـ واضع يده على الجرح، والغضب قد استولى عليه، فقال: «لأشكونّك إلى الخليفة». فأجابه بهلول بهدوء: «وأنا اذهب معك أيضاً».

قال أبو حنيفة ـ وهو متعجب من كلام بهلول ـ لمن حوله: «إذن اشهدوا لي عند الخليفة بذلك».

خرج بهلول من دار أبي حنيفة وكأنه لم يسمع أو يفعل شيئاً، ودخل أبو حنيفة بعد ساعة مجلس الخليفة وهو معتصب الرأس، فلما رآه الخليفة تعجّب من ذلك لعلمه بمكانة أبي حنيفة في بغداد وماله من أتباع.

أخذ أبو حنيفة يشرح للخليفة ماحدث، امتعض الخليفة من فعل بهلول، فأصدر أمراً باحضاره على الفور.

أسرع الشرطة في البحث عن بهلول لكنّهم ثمة بحثٍ يسيرٍ عثروا عليه وهو في طريقه إلى القصر.

ولما حضر بهلول ـ وآثار السكينة عليه ـ المجلس صاح به الخليفة: «لِمَ شدخت رأس هذا العالم الجليل؟!».

سوّى بهلول رداءه على كتفيه ثم قال: «لم افعل ذلك».

قال أبو حنيفة ـ وهو يتلكّأ في الكلام، وقد وضع يده على رأسه ـ: «كيف... كيف تدعي ذلك؟! أيها الظالم إنّ لي شهوداً».

قال بهلول: «قل لي لو سمحت ما هو الظلم الذي صدر مني؟».

قال أبو حنيفة: «شدخت رأسي بحجر، وهذا الألم في رأسي لم يكد ينفك عنّي» ثم التفت إلى جملة من تلامذته وقال: «أتشهدون بذلك؟».

قالوا: «نعم».

قال بهلول: «اتدعي الألم في رأسك، أين هو إذن أرنيه؟!».

هزأ أبو حنيفة به وقال: «وهل يُرى الألم لكي أُريكه؟!».

قال بهلول: «إذن ليس للألم وجود، وأنت كاذب في دعواك، لأنك تعتقد أن الشيء ما لم تمكن رؤيته فهو غير موجود».

وضع أبو حنيفة يديه على رأسه متحيراً من جواب بهلول وقد التفت إلى تلامذة أبي حنيفة قائلاً: «إن الحجر لا يمكن أن يؤذي أُستاذكم».

أخذ تلامذة أبي حنيفة ينظرون مبهوتين ماذا سيفعل أبو حنيفة، وما سيقول؟! لكن بهلول لم يُمهل أبا حنيفة في الجواب، فقال: «إن الانسان من تراب، والحجر من تراب، فكيف يمكن أن يؤذي التراب التراب؟!».

أدرك أبو حنيفة أن بهلول يريد بذلك حرباً في العقيدة شعواء لا هوادة فيها، فأخذت ترتجف جميع أعضاؤه وفرائصه كمن يـرتجف من شدة البرد.

سوّى بهلول رداءه مرّة اخرى وقال لهارون: «يعتقد أبو حنيفة بأن الانسان غير مختار في افعاله، فلا ذنب لي لأني في نظره غـير مختار في ما فعلت».

بُهت هارون من جواب بهلول ولم ينطق بشيء.

بقي أبو حنيفة وهو يلوم نفسه خـجلاً، وقـد نكّس رأسـه إلى الأرض، ولسان حاله: «أن كلّ ما نزل بي هو مما جنيته على نفسي».



السمّاك والخليفة

تغيّرت أجواء قصر الخليفة يوم العيد حيث الخِوان[1] الكثيرة والأطعمة المتعددة والشراب المتنوّع.

كان كلّ من يدخل القصر ذلك اليوم يأكل ويشرب ويقضي وطراً بالفرح والسرور، وكان الخليفة في تلك الأيام ـ أيام العيد ـ غارقاً في غروره وتكبّره، وهو يعطي ويهب الصِلات والأموال الكثيرة لمن يحب ويريد.

كان هارون الرشيد جالساً على عرشه وإلى جانبه زوجته زبيدة، وهي جالسة أيضاً على كرسي مرصّع بالجواهر، وهما يلعبان الشطرنج، وإلى أسفل منهما الخِوان والموائد التي مُلئت وغاصت بالأطعمة والأشربة الكثيرة والمتنوّعة، وكان جميع من حضر المجلس في فرحٍ وسرور.

وقد حفّ المجلس خدم كثيرون وفي أيديهم موائد الطعام، حتى إذا خلت إحدى تلك الموائد وضعوا اخرى مكانها.

دخل بهلول يوم العيد قصر الخليفة، فطلب هارون منه الجلوس

---

(١) المائدة التي يوضع عليها الطعام.

على مائدة الطعام لكنه رفض وجلس ناحيةً من المجلس ، وفي تلك الأثناء دخل البوّاب فقال: «يا أمير المؤمنين، في الباب سمّاك يطلب إذن الدخول عليك».

أجابه هارون وهو ينظر إلى طاولة الشطرنج: «ماذا يفعل السمّاك هنا وما يريد منّا؟ فإنه لابد أن يكون الآن على نهر دجلة».

قال البوّاب: «إنه جاءكم بسمكٍ سمينٍ ويريد أن يصل إلى خدمتكم بنفسه».

أجاز هارون للسماك الدخول، لأن ذلك اليوم كان عيداً ويدخل فيه الناس على الخليفة يهنئونه به.

فلما دخل السمّاك وقدّم ما جاء به من سمك إلى هارون، تعجّب هارون كثيراً فإنه لم يكن يَر قبل ذلك اليوم مثل ذلك السمك في حجمه.

عظّم السمّاك هارون وهو ينتظر الأجر على ذلك لينصرف. فأمر هارون للسمّاك بأربعة آلاف درهم أجراً على ذلك السمك.

اعترضت زبيدة على المبلغ الذي أعطاه زوجها هارون للسمّاك وقالت: «ألا تعتقد أن ما أعطيته السمّاك كان أكثر ممّا يستحقه؟!»

نظر هارون إلى زبيدة وقال: «لماذا تعترضين على عطائنا؟!».

أجابته زبيدة: «إن هذه الايام أيام عيد يأتي فيها الوجوه والأعيان والقادة وأعضاء الدولة، وهم يرجون منك الصِلات والعطاء، وها أنت قد أعطيت لهذا السمّاك مثل هذا المبلغ، فانك لن تستطيع أن تعطي أحدهم اقل ممّا اعطيته السمّاك، وإلّا قالوا: لم يُقم اميرالمؤمنين

لنا وزنا، بل لسنا عنده بمنزلة سماك».

ألهى هارون نفسه بالشطرنج وذهنه مشغول بما قالت زبيدة، ولما عرفت زبيدة أن لكلامها وقع في نفس هارون، عاودت الكلام فقالت: «إن الأمير يعلم جيداً أنه لو أراد العطاء بمثل هذا المبلغ لم يبقَ في الخزينة شيء».

بقي هارون أسير فعله وهو لا يعلم ما يفعل، قال: «وكيف أستطيع أن استردّ ما وهبته، فإنكِ تعلمين أن ذلك يضرّ بسمعتي».

فكّرت زبيدة قليلاً ثم قالت: «إن سمح لي أمير المؤمنين أن أُفصح بما يختلج في ذهني ونفسي أفصحت به».

فأجابها قائلاً: «قولي، فإني أُحب أن أسمع ما تقترحيه».

قالت: «إدعو السمّاك واسأله: أذَكر سمكه أم أُنثى».

قال هارون: «فإن أجاب بأنه ذكر أو انثى ما ينفعنا ذلك؟».

قالت: «إن قال: ذكر هو، قل: انا لا احب الذكور من السمك، وإن قال: أُنثى، قل: لا أُحب الإناث من الاسماك، ثم استرجع ما وهبته اياه بهذه الذريعة».

كان بهلول قريباً من الخليفة وزوجته وقد سمع حوارهما، فقال: «ايها الأمير، اترك السمّاك وشأنه، ولا يخدعك هذا الكلام».

لم يعتنِ هارون لكلام بهلول، لأنه كان يحترم زبيدة زوجته كثيراً، فأمر بإحضار السمّاك.

رجع السمّاك فرحاً إلى داره وقد علّق على ما أخذه من الدراهم الآمال الطويلة العريضة، وأنه ماذا يفعل بها، وإذا به كذلك حتى نودي

من خلفه: أن ارجع إلى القصر فإن الأمير أمر باحضارك.

نعم أيها الاصدقاء، حضر السمّاك بين يدي الخليفة، فسأله بما اقترحته عليه زبيدة، فقال: «هل السمك الذي اصطدته من الذكور أم من الإناث؟».

تبسم السمّاك ـ وهو مبهوت لما سمع ـ إذ ماذا يمكن أن يقول، وهل يمكن أن يعرف أحد ذكور السمك من إناثه؟

اقترب في هذه اللحظات بهلول من السمّاك وهمس اليه بكلمات لم يسمعها أحد غير السمّاك ثم انصرف عنه وقال: «إن هذا السمك لا من الذكور ولا من الإناث، إنه من الخناثى».

تعجب هارون من جواب السمّاك وبقي مبهوتاً لما أعجبه من ذكاء السمّاك، فأراد أن ينتهز الفرصة في إمتهان زوجته، فقال للسمّاك: «أحسنت... أحسنت بما أجبت» ثم أمر له بأربعة آلاف درهم أُخرى.

طلب السمّاك الاذن بالانصراف، فأذن له الرشيد بالانصراف ثم نظر إلى زبيدة نظرة ازدراءٍ وسخرية.

كانت صِرّتا الدراهم في يد السمّاك، وكان قد همَّ بالخروج فإذا بدرهم منها سقط على الأرض، إنحنى السمّاك ليأخذه من الأرض، فرأته زبيدة وقالت لزوجها: «انظر جشع هذا السمّاك، بيده ثمانية آلاف درهم ومع ذلك لا يتمكن من التجاوز عن درهم واحدٍ منها» أمر هارون باحضار السمّاك مرة أُخرى ليأخذ ما في يده من الدراهم لأجل ذلك.

قال بهلول لهارون: «اتركه وشأنه» فلم يُعر لكلام بهلول أهمية وتغافل عنه كأنه لم يسمع شيئاً، وأمر بإحضار السمّاك، فلما رجع السمّاك قال له هارون بغضب: «بيدك ثمانية آلاف درهم فاذا سقط واحد منها إنحنيت لتأخذه».

أدرك السمّاك بأن هارون يريد استرجاع ما وهبه إياه بأيّ حجة، فانحنى أدباً ثم قال: «إني أُريد بذلك تقدير الأمير لأن على أحد وجهي هذا الدرهم آيات من الكتاب العزيز وعلى الوجه الآخر منه اسم أمير المؤمنين، فإن تركته داسته الأقدام وكان في ذلك إهانة لكتاب الله ولإسم أمير المؤمنين».

أعجب هارون كلام السمّاك فأمر له بأربعة آلافٍ اخرى، ثم نهض من كرسيّه وسوّى ظهره، ثم قال لبهلول: «يقول الناس بأنك مجنون، لكنّي أشد جنوناً منك، فقد نصحتني بترك ما فعلت مع السمّاك فلم أقبل منك، وأخذت بكلام هذه المرأة».

﴿دجاجة مشويّة تبيض﴾

كان في قديم الزمان على طريق الهند ـ بغداد مَنزل[1] ينزله المسافرون ليضعوا عنهم عناء السفر فيه ساعات معدودة، وأيضاً يأكلون ويشربون فيه ليكملوا فيمابعد سفرهم، فكان يأتي صاحب المنزل إلى المسافرين بما يشتهون ويقدم لهم ما عنده من الطعام والشراب.

وفي ليلة من ليالي الشتاء الطويلة قصد هذا المنزل مسافر معه بضاعة جاء بها من الهند ليبيعها في بغداد، وبعد أن أودع المسافر متاعه عند صاحب المنزل وخلع ملابسه ليستريح، سأله صاحب المنزل: «ماذا تشتهي من الطعام؟».

قال: «إني جائع جداً، ائتني بما عندك فإني قاصد بغداد في الغد صباحاً».

قال: «عندنا دجاجة مشوية حشوناها بالبيض، لتكون لذيذة ومقوّية، فهل تحب أن آتيك بها؟».

قال المسافر: «نعم هاتها سريعاً، فإني جائع جداً».

وبعد دقائق حضر الطعام وأكل المسافر بشهيّة لا توصف، ثم

---

(١) المنزل: ما ينزله المسافرون، وهو مكان شبيه بفنادق هذا العصر معدّ لاستراحة المسافرين.

ذهب إلى المكان المعدّ لاستراحته، فما وضع رأسه على الوسادة حتى أخذه النعاس فنام سريعاً، وأخذ التعب يجر أذياله بهدوء عن بدنه.

ولما استيقض صباحاً مبكراً توضأ ثم توجّه إلى القبلة ليصلي صلاة الصبح، وبعد الصلاة حمد الله تعالى على أن رزقه يوماً جديداً إلى عمره ليرى العالم ويتزوّد إلى آخرته ثم ألقى ببصره إلى صاحب المنزل ليبحث عنه فلم يجده، دقّق النظر وكرّر الطلب عنه فلم يعثر عليه، ثم ذهب إلى محل استراحة صاحب المنزل فلم يسمع حسيساً ولم يجد فيه احداً.

فلم يجد بدّاً من مناداته، ناداه بصوتٍ عالٍ فإذا بالصدأ يرجع اليه بالخيبة.

إنه لابدّ من الحركة باتجاه بغداد وبأسرع وقت ممكن خوفاً من مشاكل الطريق التي لم يحسب لها أحد حسباناً، ومن جهة اخرى يريد أداء ثمن عشائه ومنامه إلى صاحب المنزل ليخرج عن ذمته، فكم يجب عليه أن يدفع؟ وهل يمكنه الانتظار أكثر أم لا؟ لا يعلم أحد ذلك، لأنه لا أحد يجيب نداءه.

وأخيراً صمّم على الرحيل لكنه كان ينوي أداء ثمن صاحب المنزل عند عودته من بغداد.

نعم أيها الاصدقاء، ذهب مسافرنا متوجهاً نحو بغداد، فلما نزلها مكث فيها أشهراً، تمكّن خلال المدة التي مكث فيها من بيع متاعه، ثم اشترى بثمنه متاعاً آخر ليتّجر به، وكان على أُهبة

الاستعداد للعودة إلى وطنه.

وذات يوم توجّه إلى بلاده، فوصل إلى موضع محطّ الرحال، أعني المنزل الذي نزله قبل سنة، فلما دخل لم يكن صاحب المنزل يعرفه، فتعشّى تلك الليلة وذهب إلى فراشه لينام على أمل أن يدفع الدين الذي في ذمته عند الصباح.

فلما اصبح صلّى صلاة الصبح ثم توجّه إلى غرفة صاحب المنَزل ليدفع له ثمن مبيته ومأكله، لكنه صادفه في الطريق فقال له: «كنت ضيفك في السنة الماضية حيث كان طريقي من هنا، فنزلت عندك وكان لك في ذمتي مبلغ اريد أن أدفعه اليك».

فسأله صاحب المنزل وهو متعجّب: «وعن ماذا؟».

تبسّم المسافر ثم اخذ يقصّ عليه خبر مبيته في العام الماضي.

كان صاحب المنزل رجلاً محتالاً وفي الوقت نفسه في غاية الجشع والطمع، وهذه فرصة ثمينة لم يُرد التفريط فيها، فكّر مع نفسه قليلاً فخطر بباله أن هذا المسافر يمكنه أن يدفع ثمناً باهضاً ازاء مبيته وطعامه، لأنه رأى أن مع المسافر المذكور متاعاً كثيراً ومالاً وافراً فطمع فيه، فقال بعد هنيئة: «إن عليك أن تؤدي ألف دينار في هذا الوقت» ثم استأنف كلامه بلين ولطف قائلاً: «طبعاً إني احتطت كثيراً في ذكر هذا المبلغ وضبطه، فإني أخاف أن أكون مديناً للآخرين».

بُهت المسافر لمّا سمع بهذا المبلغ، وإذا به فجأة صاح بصوتٍ عالٍ: «ماذا تقول؟ ألف دينار ... هل جننت ؟».

قال صاحب المنزل : «لا تغضب ، فإني حسبت حساباً دقيقاً ،

فإن أحببت أخبرتك كيف بلغ حسابك ذلك».

قال المسافر: «قل، فإن أُذني صاغية لما تقول».

قال صاحب المنزل: «هل جئت في العام الماضي إلى هنا وأكلت دجاجة فيها ستة بيضات أم لا؟».

قال: «نعم».

قال: «لو كانت تلك الدجاجة حيّةً، وكنت قد وضعت تلك البيضات الستّة تحتها، لخرج من كلّ بيضة فرخ صغير، ثم إني لو جعلت تحت تلك الأفراخ الستّة ـ بعد أن يكبرن ـ ستّة بيضات اخرى وهكذا أكرر ذلك إلى هذا اليوم لكان عندي عدداً من الدجاج ما يبلغ قيمته الف دينار» ثم جدّد صاحب المنزل أنفاسه وقال: «هل عرفت الآن ما تلطّفت به عليك، فإني لم آخذ منك اجرة مبيتك وطعامك لهذه المرّة».

قال المسافر ـ بعد سكوته الطويل ـ بصوتٍ عالٍ: «إنك حقّاً لمجنون».

نعم أيها الأصدقاء، لقد ازداد الشجار والخلاف بين المسافر وصاحب المنزل ووصل حدّاً ارتفعت فيه أصواتهما واجتمع حولهما جماعة من المسافرين، وكلّما حاول المسافرون حلّ النزاع بينهما لم يتمكنوا من ذلك، وأخيراً اتفقوا على أن يذهبوا إلى سيد قوم ذلك المكان ويأتوا به ليحلّ النزاع.

وبعد مدة يسيرة جاء سيد القوم واستمع دعوى المسافر وصاحبه، لكنه وعلى خلاف ما كان يتوقع الكثير من الحاضرين

حكم لصاحب المنزل، وقال للمسافر: «إعطه الألف دينار».

ولمّا علم المسافر أنه بعناده لا يتمكّن من حلّ النزاع فقط بل يمكن أن ينجرّ أمره إلى ضربه وإهانته، حينئذٍ نكّس رأسه إلى الأرض وانصرف مفكراً في عاقبة أمره، وهو يقول: «إلهي أعنّي».

كلّنا يعلم أن الله تبارك وتعالى لا يترك من توسل اليه عند حاجته بل يدبّر أمره حيث شاء، من هنا اعترض المسافر ـ الذي كان غارقاً في التفكير ـ رجل وقال له: «إني أعرف رجل يمكنه أن يخلّصك من ورطتك».

رفع المسافر رأسه وقال: «أين هو؟».

قال: «إنه في بغداد، وهو قريب من هذا المكان، فإني عازم على الذهاب إلى بغداد لأجيىء به إلى هنا».

ظلّ المسافر ينتظر من يأتي ويحلّ مشكلته، فإنه ليس هناك طريق سوى الصبر.

ذهب هذا الرجل ووعد المسافر بالرجوع في أقرب فرصة ممكنة، ومن ثم ركب فرسه وتوجّه نحو بغداد مسرعاً.

ولمّا وصل بغداد سأل عن بهلول، فقيل له أنه في المسجد، دخل المسجد وسلّم على بهلول ثم قصّ عليه خبر المسافر المسكين.

استأجر الرجل لبهلول فرساً واستصحبه إلى موضع المنزل المذكور، فسارا سيراً حثيثاً حتى وصلا قريباً من المنزل، قال بهلول للرجل: «انزل واذهب مسرعاً، ثم قل لهم: بأن قاضي بغداد في

الطريق، وقد وعدني بالمجيء عن قريب».

نزل الرجل وفعل ما أوصاه بهلول به، فأخذ الحاضرون ينتظرون قدوم القاضي.

لم يمضِ وقت طويل على مجيء القاضي الذي لم يكن سوى بهلول، وحيث ان أحداً من الحاضرين لم يكن يعرف بهلول لم يحصل الشك لأحدٍ أنه هو القاضي حقاً أم لا؟!

ولما دخل بهلول استقبله سيد القوم وصاحب المنزل وأدخلوه معزّزاً محترماً إلى المنزل.

ولما جلس بهلول في الموضع الذي أعدّوه له قال: «قصّوا عليّ الخبر فإني عازم على العودة إلى بغداد سريعاً لقضاء ما ينتظرني من أعمال».

تكلّم صاحب المنزل وشرح الحال بسرعة، ثم قال: «فهل يعطيني حضرة القاضي الحق في ذلك أم لا؟».

تنفّس بهلول نفساً عميقاً ثم قال: «إني اعتذر منكم جميعاً، خصوصاً من سيد القوم وكذلك من صاحب المنزل».

قال سيد القوم وصاحبه: «لماذا يا حضرة القاضي؟».

قال بهلول: «اعتذر من التأخير في المجيء، فإني مضافاً إلى عمل القضاء مشتغل بعمل الزراعة، وقبل آن آتيكم بساعة جاءني عمّال مزرعتي وطلبوا منّي بذراً ليزرعوا القمح، وحيث اني كنت قد سمعت أن بذر القمح لو فار بالماء الحار ثم يزرع يعطي ثمراً كثيراً، فاشتغلت بوضع القمح بالماء الحار، ولذلك فإني أعتذر من التأخير».

ضحك سيد القوم مما سمعه من بهلول، وقال في نفسه: «انه لقاضٍ مجنون، إذ هل يمكن وضع بذر القمح في الماء الحار وتفويره!»

وضع صاحب المنزل ـ الذي أصابه الدوار في رأسه ـ يده على شاربه وقال: «إنّ هذا لشيء عجاب».

قال بهلول: «كلّا كلّا، لا عجب فيه في مثل بلد تحتضن دجاجة مشوية البيض ثم يخرج بعد ذلك منها الفراخ، فلا عجب إذن من بذر القمح الذي يفور بالماء الحار أن يعطي ثمراً».

فلما سمع الحاضرون جواب بهلول أعطوا الحق للمسافر، وخاف سيد القوم أن ينكشف أمره بتآمره مع صاحب المنزل، وحاول أن يدفع عن نفسه الشبهة، فقال: «الحق مع القاضي، إذ كيف يمكن للدجاجة المشوية أن تحتضن البيض ويخرج منها فراخاً؟!».

نكّس صاحب المنزل رأسه إلى الأرض من دون أن يتفوّه بشيء. وبذلك تخلّص المسافر المسكين من هذه الورطة، ودفع ثمناً يسيراً أزاء مبيته وعشائه.

ثم توجّه بهلول إلى بغداد راجعاً، وكان في ذلك عبرة ودرساً لكل من وسوست له نفسه بخداع الآخرين من المغفّلين.

أيّ الملابس أفضل

كان هارون الرشيد يبث عيونه وجواسيسه في المجتمع ليأتوه بأخبار مخالفيه وليكون على علم من عقائدهم ومذاهبهم.

وذات يوم وُشي ببهلول إليه بأنه من اتباع ومحبّي الإمام موسى الكاظم عليه السلام.

وحيث أن هارون الرشيد كان على حذرٍ شديدٍ من الإمام الكاظم عليه السلام، وأنه كان يسعى دائماً لمعرفة شيعته ومحبيه للقضاء عليهم، ولما جاءه الخبر بأن بهلولاً من شيعة الإمام قرّر إحضاره وإنزال العقوبة به ليكون عبرةً للآخرين.

ولما أُحضر بهلول إلى القصر، وقف أمام هارون ـ الذي كان الغضب مستولياً عليه ـ فقال له هارون: «سمعت بأنك من شيعة ومحبّي موسى بن جعفر وأنك تسعى في خلافي».

سكت بهلول ولم يتكلّم بشيء، وكان هذا السكوت مؤذياً لهارون ومثيراً لغضبه أكثر، قال هارون: «تظاهرت بالجنون لتفرّ عن عقوبتنا لكنّي لست بتاركك».

قال بهلول: «ما كنت تفعل إن كنت صادقاً فيما تقول؟» كان هارون يتوقّع من بهلول أنه بعد التهديد يقول شيئاً يُظهر به تظوّره من

الإمام الكاظم ﷺ، لكنه فوجىء بما سمعه من بهلول، وصمم هذه المرّة إنزال العقوبة ببهلول، ولكن أيّ نوع من العقوبة يمكن إنزالها ببهلول الذي كان من أرحام الخليفة هارون من جهة، وأنه قد اشتهر بين الناس أن بهلولاً مجنون من جهة اخرى، فلا يمكن إنزال أشد العقوبة به، لأنه بعقوبته سيقول الناس بأن هارون لم يقدر إلّا على المجانين.

وعليه، أخذ هارون يفكر في طريقة لعقوبة بهلول، وأخيراً أمر بخلع ملابس بهلول وألبسه ما يسرج به الفرس، ثم امر بوضع لجام على فمه، وأخذوا يدورون به المدينة. ولما عادوا ببهلول إلى القصر وأُجري في حقه أمر الخليفة كان وزير هارون في القصر، وحيث ان الوزير لم يكن يعلم خبر بهلول وأنه لماذا يفعلون به هكذا، قال: «ماذا فعل بهلول؟!».

لم يجبه أحد بشيء، قام هارون من كرسيّه ونفض رداءه بغرور ثم وقف أمام بهلول وقال: «ألم تسمع ما قال وزيرنا، أجبه إذن».

التفت بهلول إلى الوزير بكل وقارٍ وسكينةٍ ولم يبدو على وجهه آثار الإنزجار من الخليفة، ثم قال: «دعاني أمير المؤمنين وسأل مني شيئاً فأجبته جواب الحق، فخلع أمير المؤمنين لأجل ذلك ملابسه الغالية وأهداها إليّ».

نعم أيها الاصدقاء، لقد تغيّر وضع مجلس الخليفة بسماع هذاالكلام، فلم يتمالك الجميع انفسهم من شدة الضحك بما فيهم هارون فإنه ضحك ضحكاً كثيراً.

وبعد لحظات هدأ المجلس، ثم أمر هارون بخلع ما على بهلول من السرج واللجام، وأمر بإحضار خيّاطه الخاص، وقال له: «إهـدِ اليه أفضل ما خطته لي من الملابس».

لكن وقبل أن يأتمر الخياط بأمر الخليفة قال بهلول: «لا حاجة لي بملابس الخليفة» ثم لبس ملابسه البالية وخرج من القصر.

التاجر والعطّار

مرّ بهلول يوماً بإحدى أزقة بغداد فرأى رجلاً غريباً قد أسند رأسه إلى الحائط وهو يبكي.

وقف بهلول عنده وسأله: «علامَ تبكي؟».

قال الرجل: «لا تسألني عن ذلك فانك تؤلمني، وها أنا أعوذ بالله من ظلم بعض الناس لي».

وضع بهلول يده على كتف الرجل، وقال: «إنّ معاذنا جميعاً هو الله تعالى، لكن قل لي ما حدث لك وما هو سبب بكاؤك؟».

أخذ الرجل ـ بعد أن رأى إصرار بهلول للتعرّف على خبره، عسى ولعله يتمكّن من حلّ مشكلته ـ في قصّ الخبر على بهلول، فقال: «إني رجل تاجر جئت هذه البلاد ومعي بضع دنانير أتجر بها، وحيث إني كنت أخرج للتجوّل في المدينة خفت على الدنانير من الضياع أو السرقة، فأخذت صرّة الدنانير وأودعتها عند رجلٍ عطّار في السوق».

جرت دموع الرجل وأخذته العبرة، ثم أخرج منديلاً مسح به دموعه، وقال: «كنت اعتقد صلاح الرجل، فإن ظاهره غرّني لِما عليه من سيماء الصالحين، لكن.. ماذا جرى لي بسببه؟!».

حاول بهلول تسكين آلامه ومواساته، ثم قال له: «إعلم أني قادر على استرداد أمانتك من العطّار بكل سهولة، فلا تغتمّ لذلك أبداً».

وهكذا تمكن بهلول من أخذ عنوان العطّار من التاجر، وقال له بعد ذلك: «سوف اذهب غداً صباحاً إلى محل العطّار، فإن استطعت أنت فاذهب هناك قبل الزوال بساعة».

سأله التاجر وقال: «ماذا أقول وماذا أفعل؟».

قال: «إذا جئت إلى العطّار لا تتحدث معي أبداً كأنك لا تعرفني، وقل للعطّار: جئت أستردّ منك أمانتي» وهكذا ودّع التاجر بهلولاً على أمل الحصول على ما استودعه عند العطّار.

وفي صباح اليوم التالي ذهب بهلول قبل الزوال بساعة إلى العطّار، فقال له: «كنت قد نويت السفر إلى خراسان».

قال العطّار ـ وهو يريد التعرّف على نوايا بهلول بسرعة ـ: «أرجو أن يكون سفراً موفقاً».

قال بهلول: «وأنا أرجو ذلك أيضاً، لكن الذي جاء بي اليك أمر أقلقني كثيراً».

حاول العطّار التظاهر باتخاذ موقف المواسي، فقال: «ما الذي أقلقك؟».

قال بهلول: «عندي مقدار من الجواهر ما يعادل قيمته الثلاثين ديناراً ذهبياً، أُريد إيداعها عند شخصٍ أمين، فان رجعت من سفري سالماً استرجعتها».

تشاغل العطار عن بهلول وأخذ ينقل متاعه من موضعٍ إلى موضع ويتظاهر بعدم المبالاة بهذا المال والإعراض عن الدنيا، لكنّ بهلولاً أخذ يراقب حركات العطّار وسكناته لعلمه بما يجري في قلبه، وأن ذهنه منصرف إلى كيس الجواهر الخيالي فقط وفقط، قال بهلول: «طبعاً إني سألت أهل البلد عن أمانتك فحصل لي الاطمئنان بذلك، لذا جئتك لأُودع هذه الجواهر عندك».

إرتعش صوت العطّار من شدّة الفرح، لكنه حاول التظاهر بالاعتدال، فقال: «أتمنى أن أكون عند حسن ظنك».

القى بهلول ببصره إلى خارج الدكّان فرأى التاجر يأتي من الطرف المقابل إلى محل العطّار، فأخرج بهلول ما معه من الجواهر وهي في الكيس فوضعها أمام العطّار، فلما رآها العطّار أخذت ببصره وازداد شوقاً إلى رؤيتها.

لكنكم أيها الأصدقاء تعلمون أن الكيس خالٍ من الجواهر، لكن ... ماذا كان في الكيس؟!

نعم، إن في الكيس زجاج مرضوض ورمل ناعم لا شيء آخر، وفي هذه الأثناء دخل التاجر وقال: «جئتك أستردّ منك وديعتي».

خاف العطّار من أن ينكشف أمره أمام بهلول لأن ما عنده من مال التاجر لا يعدّ شيئاً أمام الجواهر التي كانت لبهلول، لذا صاح العطّار بخادمه قائلاً: «وديعة هذا الرجل في الموضع الفلاني إذهب سريعاً وائتِ بها».

أخذ العطّار وديعته وخرج من الدكّان، وتبعه في ذلك بهلول

حيث خرج هو أيضاً بعد التاجر بقليل.

ولما اطمئن العطّار بأن بهلولاً قد ابتعد كثيراً عن الدكّـان أخـذ الكيس وصار يرفعه من الأرض ثم يضعه، وكان خادمه ينظر اليه في كلّ ذلك. فلما نظر العطّار إليه صاح به بأن يذهب إلى عمله، ثم أخذ يفتح رأس الكيس الذي كان مشدوداً وعيناه مـليئتان بـالدموع مـن شدة الفرح.

نعم ايها الاصدقاء، احدسوا ماذا حدث للعطّار عندما وقع بصره على الكيس...

السرّ في اختلاف ذكاء الأبناء

كان لهارون الرشيد زوجتان إحداهما زبيدة وله منها ولد اسمه الأمين ، والاخرى أمة مسترقّة من ايران وله منها ولد أيضاً اسمه المأمون. وكان الأمين والمأمون معاً يتعلّمان في المكتب الذي كان قريباً من قصر هارون، وكان هارون يذهب في بعض الأوقات إلى المكتب للتعرّف على وضع الدراسة لإبنيه.

وذات يوم خرج هارون ـ وعلى عادته ـ إلى المكتب فرأى في طريقه بهلولاً فأراد أن يستصحبه معه إلى المكتب، وافق بهلول على ذلك وتوجها معاً إلى المكتب.

ولمّا دخلا المكتب وجدا المعلّم وحده، فسأله هارون وقال: «أين وَلَدَي».

فأجابه المعلّم: «لقد استأذنا مني وذهبا معاً».

سأله هارون عن وضع دراستهما، فقال المعلّم: «أما الأمين ولد زبيدة سيدة نساء بغداد فضعيف الإستعداد جداً، وأما المأمون ابن الأمة فهو ذكي وفطن جداً».

حاول هارون أن يخفي آثار تألمه من هذا الخبر فسأل المعلّم وقال: «هل يمكنك أن تثبت لنا صحّة ذلك؟».

قال المعلّم: «نعم، لو سمح لنا أمير المؤمنين اختبرناهما»، حرك هارون رأسه ثم قام ومعه بهلول فجلسا في زاوية من غرفة الدرس، وأسند هارون رأسه إلى الجدار وإلى جانبه بهلول جالس.

وضع المعلّم تحت مجلَس[1] المأمون ورقة، وتحت مجلَس الأمين قطعة من الآجر[2]، وبعد دقائق دخل الأمين والمأمون، فلمّا رأيا أبوهما قبّلا الأرض احتراماً لأبيهما وظلّا واقفين، ثم أجاز لهما أبوهما الجلوس في مجلسيهما فجلسا.

فلما استقرّ بهما المجلس أخذ المأمون ينظر إلى سقف الغرفة وإلى ما يحيط به وكأنه متعجّب من شيء، فسأله المعلّم وقال: «ما بك يا ولدي؟».

قال: «أشعر انّي من حين ذهبت ورجعت أنّ الأرض قد ارتفعت مقدار حجم ورقة، أو أن السقف قد نقص بهذا المقدار».

التفت المعلّم إلى الأمين وقال: «وهل تشعر أنت بذلك؟».

قال الأمين: «كلّا لا اشعر بذلك».

تبسم المعلّم بوجهيهما وأذن لهما بالخروج ليستريحا قليلاً، ثم قال لهارون: «الحمد لله الذي أثبت صحّة كلامي».

غرق هارون في التفكير ليجد حلّاً منطقياً لهذا الإختلاف بين الأخوين فلم يجد لذلك ما يقنعه، فقال للمعلّم: «هل تعلم أنت سر الاختلاف في ذكائهما؟».

---

(١) المجلَس بالفتح: موضع الجلوس.

(٢) الطين المطبوخ بالنار في الكورة.

أجهد المعلّم نفسه في العثور على سرّ الإختلاف فلم يعثر على شيء يقنع هارون.

قال بهلول ـ بعد سكوت طويل كان فيه شاهداً لجميع ما حدث ـ: «لو آمنني الأمير أخبرته بسرّ ذلك».

قال هارون: «انت في أمان، قل ما تعلم».

قال بهلول: «إن ذكاء وفطنة هؤلاء يرجع إلى أمرين:

الأول: حب الأبوين ـ الأب والام ـ لبعضهما.

الثاني: اختلاف قوميّة ونوع دم كلّ من الرجل والمرأة، فان كان الأبوان من قومٍ ودمٍ واحد يكون أولادهما في الغالب فاقدين للعقل الكامل والفطنة الشديدة، وحيث أن الأمير لا يشترك مع أُمّ المأمون في قوميّتها ولا دمها كان أولادك منها ذوي فطنة وعقل، وأما أولادك من زبيدة فالسرّ في كونهم ما ترى هو اشتراكك معها في قوميّتها ودمها».

قال هارون لبهلول: «وهل تستطيع أن تثبت صحّة مدّعاك؟».

قال بهلول: «أيها الأمير، ألا ترى قوة وذكاء البغل، فإن السبب في ذلك هو تركّبه من نوعين مختلفين من الحيوانات هما الحمار والفرس».

أصاب هارون الرشيد ما يشبه الأثكل وخجل جداً أمام المعلّم، فإن أحداً غير بهلول لا يتمكن أن يقرّب ذلك بمثل هذا المثال الذي يوجّه ضربة مباشرة لشخصية الخليفة وإهانته، لكن ماذا يفعل بهلول وهارون هو الذي طلب منه ذلك؟

فلما علم بهلول أن كلامه أثّر في الأمير جاء بمثال آخر فقال: «ألم ير الأمير كيف يخرج ثمر الشجر ـ الذي يكون من فسيلين مختلفين ـ لذيذاً ومرغوباً؟».

وبذلك شعر الخليفة بضعفه وعجزه أمام ما استدل به بهلول فرجّح الإنصراف على البقاء، واستأذن، ثم قال: «لابد من الذهاب فإنّ عندنا عمل كثير».

وبعد ذهاب هارون قام بهلول وانصرف هو الآخر أيضاً، وبقي المعلّم وإبني هارون.

ومنذ ذلك اليوم علم المعلّم بأن بهلولاً رجل عالم.

بهلول والعارف

كان الجنيد البغدادي يعدّ من أشهر عرفاء بغداد، وكان معروفاً بالعلم والفضل، فجرى ذات يوم الحديث عن بهلول وأفعاله الغريبة على لسان تلامذة الجنيد بمحضر من أُستاذهم، فسألهم الجنيد وقال: «من بهلول هذا؟».

أجابه بعضهم فقال: «رجل مجنون، ليس له مكان معروف».

قال الجنيد ـ وهو يرغب في رؤية بهلول لِما سمع من عجائبه ـ: «أحضروا لي بهلولاً فان لي معه حديث».

طلبه تلامذة الجنيد في كلّ مكان حتى عثروا عليه أخيراً خارج المدينة، فقالوا له: «إنّ شيخنا يطلبك».

فقال بهلول: «إن كان لشيخكم معي حاجة فليأتِ هو اليّ».

فلما سمع الجنيد من تلامذته قول بهلول، قال: «إنّ الحق معه». فذهب اليه بنفسه.

ذهب الجنيد ومن معه إلى بهلول فرآه في وسط الصحراء واضعاً رأسه على حجر وهو يتفكر في ما حوله.

سلّم الجنيد ومن معه على بهلول، فردّ عليهم السلام ونهض فجلس إلى جانب الجنيد، ولما استقر بهم المجلس، سأله بهلول

فقال: «من أنت؟».

قال: «أنا جنيد البغدادي».

قال بهلول: «وما عملك؟».

اشار الجنيد بيده إلى من معه وقال: «عملي تربية وهداية البشر».

تبسّم بهلول وقال: «إن كنت كذلك فهل تعرف آداب أكل الطعام؟».

قال الجنيد بكل ثقة: «نعم» ثم استأنف كلامه وقال: «أبدأ بذكر اسم الله تعالى، آكل من أمامي، التقم الطعام قليلاً قليلاً، اضع الطعام على يسار فمي ثم امضغه بهدوء، لا انظر إلى طعام الآخرين، أحمد الله بعد كلّ لقمة من الطعام، وأغسل يدي قبل الطعام وبعده».

نهض بهلول من الأرض وقال: «كيف تهدي الناس يا شيخ وأنت لا تعلم آداب طعامك بعد؟».

فوجأ الجنيد بكلام بهلول، فقال له أتباعه: «يا شيخ، إنّ هذا الرجل مجنون».

لم يصدّق الجنيد ذلك وقال: «لا اعتقد أنه مجنون، وحتى لو كان كذلك فانه لابد من الاستماع لِما يقول».

فلمّا ذهب بهلول صاح به الجنيد: «إن لي معك حاجة».

قال بهلول: «إن كنت لا تعلم آداب الطعام فهل تعرف آداب الكلام؟». قال: «نعم، أعرف ذلك؟».

قال الجنيد: «لا أتكلم إلّا بمقدار، ولا أقول قولاً شططاً، فإن

حدّثت الناس حدّثتهم على قدر عقولهم، ادعو إلى الله ورسوله...».

ذهب بهلول واستمر في طريقه، فناداه من كان مع الجنيد ثالثة بأن: انتظر ليتم الجنيد حديثه، التفت بهلول إلى الجنيد وقال: «ظهر لي أنك لا تعلم آداب الطعام ولا آداب الكلام، فما تريد مني؟».

لم يكن يتوقّع تلامذة الجنيد ذلك من بهلول، فقالوا للجنيد:«ارأيت يا شيخ بأن هذا الرجل مجنون، فما تنتظر من مجنون أكثر من ذلك؟».

انتهرهم الجنيد وقال: «إن كان مجنوناً فعلينا أن نستمع لِما يقول».

تبع الجنيد بهلولاً، لكن بهلولاً حاول الابتعاد عنه كثيراً فناداه الجنيد: «إن لي معك حاجة».

قال بهلول: «ما حاجة من لا يعرف آداب طعامه ولا آداب كلامه معي؟».

فقال الجنيد: «أعلم شيئاً كثيراً».

قال بهلول: «أخبرني هل تعرف آداب النوم؟».

قال الجنيد: «نعم».

فقال بهلول: «كيف تنام؟».

اطرق الجنيد برأسه إلى الأرض، وقال: «إن أتممت صلاتَي المغرب والعشاء ومن ثم الدعاء لبست ثوب النوم، و...» وهكذا أخذ الجنيد يعدّ لبهلول ما تعلّمه من آداب النوم.

لكن ذلك أيضاً لم يُرضِ بهلولاً، فقال: «إذن لا تعرف آداب النوم أيضاً» ثم أخذ في طريقه.

حاول بعض تلامذة الجنيد أن يؤدب بهلولاً ويوجعه ضرباً، لكنّ الجنيد كان عاقلاً، فانه ذهب خلف بهلول وأخذ يترجى منه ويقول: «أنا جنيد البغدادي لا أعلم شيئاً، علّمني ما تعلم لما فيه رضا الله».

وقف بهلول وتبسّم قليلاً، ثم قال: «كنت تدّعي العلم فابتعدت عنك، ولمّا أقررت بجهلك فها أنا أُعلّمك».

جلس بهلول على حجر ودعا الجنيد أن يجلس على حجرٍ آخر إلى جانبه، ثم قال: «أمّا ما ذكرت من آداب الطعام فكلّه فرع، وأما الأصل في ذلك: فأن يكون طعامك من حلال، فإن لقمة الحرام لا ينفع معها مئات ما ذكرت من الآداب، وهي التي تسوّد القلب».

فرح الجنيد بذلك كثيراً وقال: «جزاك الله عني خيراً».

وبعد هنيئة قال: «وأما آداب الكلام: فإنه لابد من طهارة قلبك وصفاء نيّتك وأن يكون في كلامك طلب رضا الله لا من سواه، وأن تجتنب لغو الحديث فإنه يجرّ اليك يوم القيامة الويلات والثبور ولا ينفع معه شيء مما ذكرت من الآداب».

نهض الجنيد من الحجر وجثا على ركبتيه أمام بهلول كأنه تلميذ بين يديه، وقال: «إن ما علّمتني به لم أكن أسمعه من أحد قبلك» ثم وضع يديه على صدره وقال: «أيها العزيز أخبرني ما آداب النوم؟».

قال بهلول: «ما كنت تعلمه في ذلك فرع، وأما الأصل فيه فهو أن تفرّغ قلبك من حبّ الدنيا والحسد والبغض والعداء للمسلمين وأن تلهج بذكر الله تعالى حتى تنام عيناك».

ثم نهض بهلول من الأرض فانحنى الجنيد على يديه ليقبّلهما، وقال له: «علّمتني الحق، أرجو أن يجزيك الله عني خيراً يوم الجزاء».

البغل الذي يقرأ

كان الوالي يؤتى بكل شيء جديد يدخل المدينة، وذات يوم جاء رجل ببغلٍ يسوقه إلى دار الحكومة في مدينة الكوفة ليقدّمه هدية للوالي، وكان ذلك اليوم عيداً قد اجتمع فيه أكابر الكوفة ليهنئون الوالي، فلما دخل الرجل مع البغل لفت أنظار الحاضرين ذلك فأخذوا يضحكون منه ويسخرون من البغل، وكان كلّ منهم يتكلّم بشيء لكي يُضحك الحاضرين، حتى ضاق والي الكوفة ـ الذي كان يتظاهر أيضاً بالسرور ـ بذلك لما يسمعه من بعض الحاضرين حيث كان يتكلّم كناية ويقصد به الوالي، لكن الوالي كان لكل ذلك بالمرصاد، حيث كان يترقّب الفرصة المناسبة ليفرغ غضبه فيها.

قال أحد الحاضرين ـ وهو يسخر من البغل ـ مخاطباً الوالي: «إذا يسمح لي الوالي أن اعلّم هذا البغل القراءة».

وعندما سمع الوالي ذلك أفرغ جام غضبه على المتكلم وصاح به: «ثكلتك أُمك، أتعلم ما تقول، لابد لك من إثبات ذلك».

هيمن على المجلس سكوت عجيب، فإن الحاضرين علموا بأنه لا مجال للمزاح والضحك بعد غضب الوالي، وقد استولى الرعب أيضاً على المتكلّم الذي ادعى أنه يستطيع أن يعلّم البغل القراءة.

القى الوالي الرعب في قلوب الحاضرين وهو فرح بذلك، ولما رأى أن صوته وإرجافه أثّر أثره في الحاضرين، قال لهذا الرجل: «إن استطعت تعليم هذا البغل القراءة كان لك عندي أجراً حسناً، وإن لم تستطع ذلك فسوف نأمر بقتلك».

ندم هذا الرجل على كلامه كثيراً حيث صار أسير ذلك، لكنه أراد امتصاص نقمة الوالي، وكسر طوق السكوت الذي استولى على المجلس فقال: «أعطني يا حضرة الوالي وقتاً لذلك».

مسح الوالي شاربه وقال: «كم يكفيك من الوقت؟».

قال الرجل ـ وهو لا يدري ما يقول ـ: «عشرة أيام».

أخذ الرجل البغل ـ بعد موافقة الوالي على ذلك ـ الى بيته وهو لا يعلم ما ينتظره من مصير أسود.

نعم أيها الاصدقاء، ذهب الرجل المسكين إلى بيته وعنان البغل بيده، فلما دخل على زوجته ـ التي كانت تنتظره وهدايا الوالي معه ـ قصّ عليها خبر البغل فارتفع صياحها، وأخذت تضرب رأس زوجها بكل شيء قريب منها، ثم طردته من البيت.

خرج الرجل المسكين من البيت طريداً لا يدري ماذا يفعل، فأخذ يجول في أزقة الكوفة ومعه البغل وهو يكرر مع نفسه ويقول: «كل ما نزل بي أنا السبب فيه، ماذا أفعل؟ فكم أنا من مسكين».

مرّ هذا الرجل ببهلول وكان جالساً على دكة المسجد، فرآه بهلول وهو يمشي ويبكي ويتكلم مع نفسه، سأله بهلول عن ذلك وقال: «ما بك؟».

أخذ الرجل يقصّ خبره مع الوالي وزوجته على بهلول وأشار بيده الى البغل الذي كان واقفاً قريباً من المسجد.

قال له بهلول: «لا تغتمّ لذلك، فإني أُعلّمك طريقةً تتخلّص بها من ورطتك».

كان الرجل المسكين مستعداً لقبول كلّ اقتراح، فقال: «وماذا أفعل؟».

قال بهلول: «أسمع جيداً ماذا أقول لك، اترك البغل اليوم جائعاً ولا تعطه طعاماً، ومن الغد ابدأ معه إلى عشرة أيام بأن تضع له حبات من الشعير بين صفحات كتاب، ثم اعرض الكتاب عليه وتصفّح أنت له ورق الكتاب فيلتقط البغل حبّات الشعير بطرف لسانه لأنه جائع، فإن كررت ذلك معه إلى عشرة أيام سوف يتعلّم البغل على الأكل من الكتاب وتصفّح أوراقه، وفي اليوم العاشر إذا أردت أن تذهب إلى الوالي اترك البغل جائعاً».

كان يعتقد الرجل المسكين أن طريق خلاصه من هذه الورطة هو الأخذ بكلام بهلول فلما انصرف وودع بهلولاً ذهب متوجهاً إلى بيته عسى ولعله يتمكّن من اقناع زوجته بما اقترحه بهلول والبقاء في البيت عشرة أيام.

فلما رأته زوجته بدأت بالصياح والعويل من جديد، فلما ذكر لها ما سمعه من بهلول هدأت ثم طلب من زوجته أن تعطيه رخصة البقاء عشرة ايام في البيت، فلما سمحت له بذلك، أخذ البغل إلى موضع من البيت ثم بدأ معه بما اقترحه عليه بهلول، وهكذا استمر

معه إلى تسعة أيام يعلّمه كيف يأخذ حبات الشعير من بين صفحات الكتاب.

وفي صباح اليوم العاشر كان فرحاً جداً، أخذ معه البغل وذهب إلى الوالي، فلمّا دخل عليه كان الوالي وجماعة من حاشيته في انتظار الرجل ـ صاحب البغل ـ ليروا ماذا سيكون مصيره؟

فسحوا له المجال فدخل ومعه بغله، وكان البغل قد أوقف أُذناه من شدة الجوع، فوقف الرجل ومعه البغل أمام الحاضرين وعرض عليه الكتاب الذي كان يعرضه عليه، بدأ البغل يتصفّح الكتاب على عادته على أمل أن يجد شيئاً من الشعير، لكنه لم يجد شيئاً، وكان كلّما تصفّح من ورق الكتاب أكثر كلّما اشتد جوعه أكثر حتى يئس من الشعير.

ظل البغل جائعاً، لكنه كيف يمكنه أن يُفهم صاحبه بأنه جائع، لم يكن لديه سبيل سوى النهيق، وكان الحاضرون يتصورون بأن البغل يقرأ ـ لكن بلغته ـ فأخذوا يصفّقون له وللرجل المسكين الذي علّمه.

ولما هدأت الصيحة وسكن المجلس، أمر الوالي بالبغل وإكرامه بشيءٍ من الطعام، ثم التفت الوالي الى الرجل وقال: «حسناً، أخبرنا كيف استطعت تعليم هذا ألبغل القراءة؟».

ضحك الرجل قليلاً ثم قال: «يقولون: أن النجاة في الصدق، وأنا أُريد أن أُخبرك بالحقيقة كما هي، لكني أُريد منك الأمان».

قال الوالي: «أنت آمن».

أخذ الرجل يقصّ عليه لقاءه مع بهلول وأنه نجا من هذه الورطة بفضل ما علّمه بهلول.

وهب الوالي بعد ذلك الى الرجل شيئاً جميلاً، ثم التفت الى الحاضرين وقال لهم: «ليت أن لكل واحدٍ منّا مثقال ذرة من عقل بهلول المجنون».

«صوت النقود ولونها»

دخل رجل فقير مدينة بغداد وأخذ يتجوّل في أسواقها، وكانت بغداد يومئذ عاصمة أكبر دولةٍ على البسيطة، وكان فيها سوقاً عظيماً يجد الانسان فيه كلّ ما يريد، حتى كانت دكاكين شعبة من السوق الكبير مختصة ببيع الأطعمة بأنواعها، بحيث كان بعض كسبة السوق يأتون كلّ يوم ليتناولون الطعام في هذه الشعبة من السوق.

ذهب الرجل الفقير إلى هذه الشعبة من السوق وشاهد فيها أنواع الأطعمة فازدادت شهيّته ولم يتمكن من مقاومة نفسه مقابل رائحة الطعام الشهي، ومن القدر أنه كان لرجلٍ دكّاناً في السوق وكان قد عرض طعامه خارج دكّانه والبخار يتصاعد من أعلى الطعام، فيأتي بعض الزبائن فيشترون منه، وكان صاحب الطعام يأتي بين الحين والآخر يبيع الطعام ثم يدخل الدكّان.

فلما رأى الفقير ذلك وهو لم يملك شيئاً من النقود فكّر مع نفسه فأخرج قطعاً من الخبز اليابس الذي كان معه ثم وضعه على البخار المتصاعد من الطعام ليترطّب ويأخذ رائحة الطعام، فلما رأى صاحب الطعام ـ وكان طماعاً جشعاً ـ ذلك خرج من الدكّان وجاء إلى الرجل

الفقير مسرعاً وطالبه بثمن الطعام، قال الرجل الفقير: «وهل جننت؟ ثمن ماذا أعطيك... فهل أعطيتني طعاما؟».

قال صاحب الدكّان: «هل تعترف أنك أكلت الخبز اليابس الذي وضعته على بخار طعامي ثم أكلته؟».

قال الرجل الفقير: «نعم، أكلت خبزي مع بخار طعامك المتصاعد إلى السماء».

قال صاحب الدكّان: «إني أكتفي منك بأخذ ثمن البخار فقط».

وهكذا ارتفع صوتهما واشتد الشجار بينهما، ومن حسن حظ الفقير أن مرّ بهلول واستمع إلى النزاع بينهما، فقال بهلول لصاحب الدكان: «أتعترف أنه لم يأكل من طعامك بل انتفع ببخاره؟».

قال: «نعم، وأنا لم أدّعِ أكثر من ذلك».

قال بهلول: «حسنا، اسمع...» ثم اخرج من جيبه نقوداً وألقاها في الأرض ثم أخذها وألقاها وهو يقول لصاحب الدكّان: «خذ ثمن طعامك».

فلما انتهى بهلول من ذلك، قال له صاحب الدكّان وهو متألم: «ما هذا الذي فعلته؟».

قال بهلول: «دفعت اليك ثمن طعامك».

قال صاحب الدكّان: «كنت أعتقد أنك تحكم بالحق، أيُّ ثمنٍ أعطيتني؟».

قال بهلول: «لقد حكمت بالحق، فإن الذي يبيع بخار طعامه ورائحته لابد أن يكون ثمنه صوت النقود».

لم يتمكّن صاحب الدكّان أن يتكلم بشيء ورجع إلى محل عمله، ثم أعطى بهلول ما كان عنده من النقود إلى الرجل الفقير ليشتري بها طعاماً ثم انصرف.



اللغز الهاروني

كان هارون الرشيد قد أجاز الدخول لبهلول عليه كلّ حين ومتى شاء، وذات يوم كان هارون مجتمعاً بعددٍ من كبار رجال دولته والمقرّبين منه، فدخل عليهم بهلول القصر بلا اذن أحد، وجلس إلى جانب هارون.

كان سلوك بهلول في ذلك اليوم مؤذياً لهارون، لكنه ما دام قد أذن له بالدخول متى شاء لم يتمكّن من إخراجه من القصر.

كان بهلول في ذلك المجلس يقلّد فعل هارون حيث كان واضعاً إحدى رجليه على الاخرى فوضع بهلول إحدى رجليه على الاخرى أيضاً مقلداً في ذلك هارون، ضحك الحاضرون في المجلس من فعل بهلول الذي كان يؤذي هارون لحظة بعد اخرى، وفجأة خطر بذهن هارون فكرة يمكنه من خلالها تأديب بهلول، قال هارون: «لابد لك من الجواب عن هذا اللغز ما دمت جالساً إلى جانبي».

قال بهلول: «إذا لم ترد التخلّص من الجائزة كما فعلت ذلك معي مراراً أجبتك عن اللغز».

أراد هارون أن ينتهر بهلول وأنه متى تخلّف عن وعده، لكنه سرعان ما تذكر أن بهلولاً صادق فيما يقول لأنه ـ أي هارون ـ

أخلف وعده لمرّات عديدة معه، لذا حاول التعامل مع بهلول بهدوء وقال: «إن أجبت عن هذا اللغز أمرنا لك بألف سكة ذهبية، وأما إن لم تجب عنه فسوف نأمر بحلق لحيتك ثم نضعك على حمار ويدار بك أزقة المدينة».

قال بهلول: «لا حاجة لي بالذهب، لكني مستعد للجواب عن اللغز بشرطٍ واحد».

قال هارون ـ بعد هنيئة ـ: «لنرى ما هو شرطك؟».

قال بهلول: «إن أجبتك عن اللغز أُريد منك أن تأمر الذباب بعدم التعرّض لي وإيذائي».

لمّا أدرك هارون أن بهلولاً بشرطه هذا يريد إثبات عجز ـ هارون ـ وضعفه، ضحك قليلاً ثم قال: «لا يمكن العمل بشرطك، لأن الذباب ليس بأمري».

حرّك بهلول رأسه مؤيّداً كلام هارون ثم قال: «لا ينبغي لي أن أتوقّع من شخص ضعيف وعاجز أمام الذباب شيئاً، لابد من البحث عن أحد يتمكّن أن يأمر الذباب بذلك».

حسّن الحاضرون فعل بهلول في قلوبهم دون ألسنتهم لأنّ كلامه هذا ينمّ عن عقله وحسن تدبيره.

ولما علم بهلول أن كلامه أثّر في هارون ـ الذي صار لونه يتغير لحظة بعد اخرى من شدة الضربات التي صار يواجهها من بهلول ـ قال: «أنا مستعد الآن أن اجيبك عن اللغز بدون أي شرط».

ولما أحسّ هارون بأنه خاسر في هذا الجدال لم يكن يحب أن

يطيل الكلام أكثر من ذلك مع بهلول، فقال: «ما هي الشجرة التي لها من العمر سنة واحدة، ولها من الفروع والأغصان إثنا عشر، وعلى كلّ غصن منها ثلاثين ورقة، في وجه من وجوه كلّ ورقة ظلام وفي الوجه الآخر منها ضياء ونور؟».

أجابه بهلول بدون أي تأمل: «أما الشجرة فهي السنة، وأما أغصانها فهي الأشهر، وأما ما كان في وجه أحد أوراقها الظلام فهو الليل والآخر فهو النهار».

لمّا سمع هارون بذلك لم يكن له بدّ من القبول، فاذا به رفع صوته وقال: «أحسنت، أحسنت».

وهكذا الحاضرون قالوا مثل قول هارون، ثم خرج بهلول من القصر وهو لم يعتن بهذا التهريج ولم يبالِ بأحدٍ من الحاضرين.

تبحث لي عن كلبٍ جيدٍ للصيد».

قال بهلول: «سوف أفعل ذلك».

قال الوالي ـ وهو يريد من بهلول الانصراف بسرعة ـ: «نعم تستطيع أن تبدأ البحث عنه من الآن».

قال بهلول: «حسناً، سأذهب ثم اعود بعد ايام مع الكلب الذي أردته».

وبعد ايام جاء بهلول ومعه كلب سمين جداً إلى قصر الخلافة وهو يجر به، فلما رآه الوالي صاح به بغضب: «هل جننت؟».

أجابه بهلول بسكينة: «ولماذا أُجن؟»!.

اشار الوالي بيده إلى الكلب وقال: «هل تعرف صفات كلب الصيد؟».

قال بهلول: «نعم، اعرف ذلك».

صاح به الوالي وقال: «فما هي صفاته؟».

قال بهلول: «لابد ان يكون كلب الصيد نحيفاً وخفيفاً ليتمكن من افتراس صيده بسرعة».

قال الوالي: «إن مما يدعو للأسف أنك تعلم ذلك، ومع ذلك جئتنا بكلبٍ سمين».

أجابه بهلول وقال: «لا تغضب يا حضرة الوالي، إنك مع البخل المعروف عنك بين الناس ستجعل من هذا الكلب كلباً للصيد في أسبوع واحد لما سيبلغ من الهزالة والضعف بحيث لا يقاس به كلب صيدٍ آخر».

كلب الصيد

كان والي الكوفة مضرباً للمثل بين الناس في الخسّة والبخل، لكن لم يجرأ أحد أن يقول ذلك للوالي.

وذات يوم كان الوالي مرتاح البال فأخذ يبحث عن شيء يلهى به، فصمّم أن يدعو بهلولاً إلى القصر ليقضي معه يوماً سعيداً.

هذا مضافاً إلى أن مثل هذا اللهو لا يكلف الوالي شيئاً، لذا امر نفراً من الحرس ليأتوه ببهلول، فقال: «اذهبوا واتونا ببهلول».

ذهب الحرس في طلب بهلول وجاءوا به إلى قصر الخلافة، فلما وقع نظر الوالي عليه فتح معه حديث المزاح لكنه في كل مرة كان يسمع جواباً صارخاً من بهلول، بحيث كان أصدقاء الوالي يضحكون في قلوبهم على ما صار يعاني منه الوالي من اجوبة بهلول.

أراد الوالي التخلص من بهلول بشكلٍ من الاشكال بحيث يجعل بهلول يغادر بنفسه القصر، فقال الوالي له: «سمعت بأنك تعرف الكلاب جيداً».

قال بهلول: «لعل الأمر كذلك، فهل معرفة الكلاب تقدم خدمة للوالي؟».

قال الوالي: «أنت تعلم بأني أحب الصيد كثيراً، لذا اريد منك أن

وهبتك ما رأيت في المنام

أراد رجل أن يمكر ببهلول ـ وكان يعرفه ويعرف صفاء نيته وطهارة قلبه ـ ولعل ذلك هو الذي دعا هذا الرجل إلى تنفيذ ما يدور في رأسه من أفكار.

وذات يوم رأى هذا الرجل بهلولاً فسلم عليه فردّ بهلول السلام.

قال الرجل: «رأيت البارحة في المنام رؤياً عجيبة».

قال بهلول: «خيراً إن شاء الله، وماذا رأيت؟».

قال الرجل: «رأيت كأنك وهبتني مئة دينار من الذهب».

علم بهلول بما يدور في نفس الرجل، فضحك قليلاً وقال: «نعم، الأمر على ما وصفت، لكني لا اريد أن استردّ ما وهبته إياك في المنام».

خجل الرجل وانصرف، لكنه علم أن لبهلول عقلاً اكبر من عقله وأكثر إدراكاً.

تعجب الوالي لذلك وقال: «فما السبب في بكائك؟».

قال بهلول: «إني جلست على مسندك دقائق فنزل بي من العذاب ما ترى، فكيف بك وقد جلست عليه سنوات، فانه لا يعلم ما ينزل بك من العذاب إلّا الله».

جزاء الوالي

دخل بهلول يوماً إلى دار الحكومة في الكوفة، فجلس على مسند الوالي وأخذ يقلد الوالي في افعاله، فلما رآه الحرس والحجّاب ضحكوا عليه، ثم ادركوا ان الوالي لو دخل عليهم ووجد بهلول جالساً على مسنده سوف يبدل ضحكهم إلى بكاء، لذا هرعوا إلى بهلول ـ بعد أن نصحوه أن ينزل من مسند الوالي فامتنع ـ وأخذوا يضربونه حتى أنزلوه.

ذهب بهلول إلى زاوية من القصر وصار يبكي، وفي هذه الأثناء دخل الوالي فرأى أن وضع القصر غير طبيعي، سأل رئيس الحرس وقال: «ما الذي حدث؟».

قال رئيس الحرس ـ بعد أن انحنى تعظيماً للوالي ـ: «سيدي، إن بهلولاً جلس على مسند الخلافة، فلما وعظناه بالنزول عنه امتنع، ثم اضطرنا إلى ضربه».

ذهب الوالي إلى بهلول فوجده يبكي، قال له: «عليك بالصبر، فان الذي يعمل عملاً مخالفاً للقانون عليه أن يوطّن نفسه لمثل ذلك».

قال بهلول: «ايها الوالي إني لا أبكي على نفسي».

منه من دون زيادة».

وعندما رأى التاجر اليهودي أن كفّة الميزان الراجحة صارت إلى جانب التاجر المسلم فضّل الخروج من المحكمة خوفاً على نفسه.

جاء بهلول وجلس بين التاجرين اليهودي والمسلم، ثم قال: «طبقاً لشهادة المحكوم ـ التاجر المسلم ـ يكون الحق لليهودي في أن يقطع من بدن المسلم قطعة من اللحم، لكنه لابد أن يقطع من موضع بحيث لا تخرج حتى قطرة واحدة من الدم».

صارت بين الحاضرين همهمة وحديث، وغضب التاجر اليهودي لذلك وقال: «هل تعلم ما تقول؟».

اشار بهلولاً إلى الحاضرين بالسكوت، ثم التفت إلى اليهودي وقال: «كان الشرط بينكما هو أن تقطع اللحم من بدنه، ولم يكن بينكما الحديث عن الدم، أليس كذلك؟».

صاح اليهودي: «وكيف اقطع من بدنه اللحم بدون أن تخرج قطرة من الدم؟».

قال بهلول: «إنه مضافاً إلى عدم خروج قطرة دم واحدة توجد مشكلة أُخرى».

قال اليهودي بغضب: «وما هي؟».

قال بهلول: «إنه لابد من القطع من بدنه بنحو لا يزيد عن المقدار المقرر بينكماولا ينقص عنه شيئاً» ثم قال: «فان قطعت ما يزيد أو ينقص عن القدر المعين يقتص منك بقدره».

تغير لون اليهودي وارتعشت فرائصه وخابت آماله وخسرت صفقته، فأخذ ينظر إلى القاضي نظر اليائس ووضع يديه على رأسه.

نظر القاضي إلى بهلول وحسّن ما حكم به، ثم قال: «على التاجر المسلم ان يؤدي إلى التاجر اليهودي أصل المبلغ الذي أخذه

إلى التاجر اليهودي ليعطي إلى التاجر المسلم فرصة اكثر كي يؤدي دينه، لكن اليهودي رفض وأصر على ضرورة اجراء حكم الحاكم وقطع اللحم من بدن المسلم.

وأما القاضي فقد أخذ يرجّىء تنفيذ الحكم يوماً بعد آخر عسى ان قلب اليهودي ينكسر للمسلم فينصرف عن ذلك.

وفي أحد الايام جاء اليهودي للقاضي وطالبه بشدةٍ لاجراء الحكم الصادر، فلما رأى القاضي اصرار اليهودي لم يكن له بدّ من تنفيذ الحكم، وأمر التاجر المسلم التأهب لذلك. فما كان للتاجر المسلم إلا التسليم.

اجتمع الناس ليشهدوا اجراء الحكم، وكان فيهم بهلول وهو جالس في المحكمة.

أخذت فرائص التاجر المسلم ترتعش، فرفع يديه إلى السماء وقال: «الهي اغثني فإنك مغيث المساكين».

تغيّر لون القاضي الذي لم يرتضِ اجراء الحكم في قرارة نفسه، لكنه قال للتاجر المسلم: «إن كان لك كلام فقل».

لم يقل التاجر المسلم شيئاً سوى أنه كان يستغيث بخالقه فانه الوحيد الذي ينقذه من هذه الورطة.

وفجأة قام بهلول من بين الحاضرين وقال: «هل يمكنني أن أكون وكيلاً مدافعاً عن هذا التاجر المظلوم؟».

فرح القاضي بذلك لأنه كان يعلم أن بهلولاً يمكنه أن يحل المشاكل المستعصية، فقال: «نعم، تستطيع ذلك».

«إلهي اغثني».

قال التاجر اليهودي: «وهل فعلت امراً قبيحاً؟ انما جئت لآخذ مالي».

حاول التاجر المسلم أن يمدّد أجل الدين لكنه فشل في ذلك، لأن التاجر اليهودي لا مروة له مضافاً إلى انه في مقام الانتقام من رقيبه التاجر المسلم.

لم يعتنِ اليهودي بكلام المسلم وذهب مباشرة إلى القاضي وقدّم له الدعوى، وبعد حين ارسل القاضي خلف التاجر المسلم يستدعيه، فلما حضر عند القاضي، سأله القاضي فقال: «هل اقترضت من اليهودي أم لا ؟».

قال المسلم: «نعم» لأنه لا يتمكن من الانكار والكذب، ثم أخذ يقصّ على القاضي خبره مع اليهودي بلا زيادة او نقصان.

فكّر القاضي في الأمر قليلاً ثم قال: «عليك أن تستعد لكي يقطع اليهودي من بدنك اللحم».

تغيّر حال التاجر المسلم عندما سمع من القاضي ذلك، لأنه يعلم أن اليهودي سوف يقطع اللحم من موضع حساس قد يؤدي إلى هلاكه، ذلك أن اليهودي رجل خبيث.

أصدر القاضي حكمه بذلك، فانتشر خبر التاجر المسلم في مدينة بغداد بسرعة، فكان كل من يسمع بذلك يلعن التاجر اليهودي لعلم الجميع بقساوة قلبه وجشعه.

حاول بعض الخيّرين حل النزاع بشكل سلمي فتوسّطوا وذهبوا

على بساط الاستكانة والحاجة فكّر مع نفسه فوجد في ذلك الفرصة المناسبة للانتقام من التاجر المسلم، لأنه السبب في قلة بيع التاجر اليهودي، فان الناس يشترون ممن يبيع بسعرٍ أقل عادة، لذا التفت إلى المسلم وقال له: «عليك ان تضع عندي وثيقة معتبرة أو أن تقبل ما أشترط عليك إن لم تستطع اداء دينك مع ربحه في الوقت المعيّن».

سأله التاجر المسلم فقال: «وما هو شرطك؟».

قال اليهودي: «شرطي هو انك إن لم تستطع استرداد القرض مع ربحه وفائدته في الوقت المعين ان اقطع من بدنك قطعة من اللحم».

لم يكن شرط اليهودي شرطاً متعارفاً ومنطقياً، لكن ما الحيلة؟ فانه قل من يوجد شخص يوافق على مثل هذا الشرط، لكن وضع التاجر المسلم لم يكن طبيعياً يجعله يرفض الشرط المذكور.

أخذ التاجر المسلم المال من اليهودي على أمل التمكن من تسديده في وقته، ولعل هذا هو الذي دعا التاجر المسلم ان يوافق على الشرط من دون ان يفكر في عاقبة امره.

وهكذا استطاع التاجر المسلم فك ديونه بمال اليهودي، لكنه سرعان ما انقضت الليالي والايام والاشهر حتى حان وقت تسديد دين اليهودي، فانه مضافاً إلى أصل الدين عليه ان يعطي لليهودي ربح هذا المال، ولكن كيف...!

لقد حاول التاجر المسلم جاهداً تسديد قرض اليهودي لكنه لم يتمكن من ذلك في الوقت المعين، وأخيراً جاءه التاجر اليهودي يطالبه بماله، فلما رآه التاجر المسلم رفع رأسه إلى السماء وقال:

المسلم واليهودي

كان تاجر مسلم في بغداد معروف بالفضل والصدق بين الناس وكان هذا التاجر يسافر إلى البلاد القريبة والبعيدة فيشتري المتاع والمواد الغذائية التي يحتاجها الناس ويبيعها بثمنٍ قليل يربح فيه شيئاً يسيراً.

ومن القدر الالهي كان في بغداد تاجر آخر يهودي، وكان هذا التاجر على خلاف التاجر المسلم تماماً، فقد كان قسي القلب يبيع متاعه بأعلى القيم فيربح على ذلك ربحاً كثيراً.

كان للتاجر اليهودي شغل آخر وهو التصريف للنقد والاقراض، بحيث كان يرفع حاجة تجار بغداد اذا كانت لأحدهم حاجة إلى المال فيعطي القروض لكن بالاخضاع إلى شروط صعبة جداً.

وذات يوم احتاج التاجر المسلم ـ كما هو فعل الدنيا بأهلها، فانها تدور بهم دوران التفاحة في الهواء التي تدور مئة دورة حول نفسها حتى تسقط إلى الارض ـ إلى التاجر اليهودي ليستقرض منه مقداراً من المال فان ذلك وان كان امراً صعباً جداً، لكن لا حيلة للتاجر المسلم سوى ذلك.

وعندما رأى التاجر اليهودي رقيبه التاجر المسلم وهو جالس

انقسم الحاضرون ـ بعد مشورةٍ بينهم ـ إلى فريقين، فريق قال: نعلم ماذا تريد ان تقول، وفريق آخر قال: لا نعلم.

قال بهلول: «حسناً، فليخبر الذين يعلمون ماذا اريد أن اقـول للذين لا يعلمون».

ثم نزل وشق طريقه منصرفاً.

بهلول مع الناس

وقف بهلول يوماً في ساحة بغداد فاجتمع حوله خلق كثير ثم صعد على مرتفع هناك، وقال: «ايها الناس، هل تعلمون ما الذي اريد أن اكلمكم به؟».

أجابوه جميعاً بصوتٍ واحدٍ: «كلّا، لا نعلم ذلك».

قال بهلول: «ماذا أقول لكم وأنتم لا تعلمون؟» ثم نزل وانصرف.

وفي اليوم التالي ذهب إلى نفس المكان الاول وصعد على المرتفع فاجتمع حوله الناس، فقال: «ايها الناس، هل تعلمون ما الذي اريد أن اقول لكم؟».

أراد الحاضرون ان لا يجيبوه بجواب اليوم الاول، فقالوا: «نعم، نعلم ماذا تريد أن تقول».

فقال لهم: «إن كنتم تعلمون ذلك، فما الحاجة إلى قولي، وماذا اقول لكم؟».

ثم نزل وانصرف.

وفي اليوم الثالث اجتمع حوله الناس وصعد فيهم، ثم قال: «هل تعلمون اليوم ماذا اريد أن اقول لكم؟».



قال بهلول: «انك وعدتني بذلك».

قبّط هارون وجهه وقال بلهجة فيها غضب:«إن أصررت على ذلك أكثر ألقيت بك معهم في السجن».

لم يرتض بهلول ان يرجع خالي اليدين إلى الساحل، فقد تمكّن بعد اصرارٍ شديد من اقناع هارون باطلاق سراح عشرة من الشيعة الذين كانوا في أسر هارون.

كان يعتقد هارون أن بهلولاً عاجز عن الجواب، لأنه سأل ذلك من كثيرين فلم يسمع منهم جواباً سوى السكوت، لذا وافق على شرط بهلول بدون اي قلق، ثم قال ـ هارون ـ: «لو كان عندنا خروف وذئب وعلف، وأردنا نقلها واحدةً واحدةً من هذه الجهة من الماء إلى الجهة المقابلة، كيف نصنع، بحيث لا يأكل الذئب الخروف ولا الخروف يأكل العلف؟».

قال بهلول: «جواب ذلك عندي».

تصوّر هارون بادىء الأمر أن بهلولاً يتكلم اعتباطاً، فقطع كلام بهلول وقال: «قل، قل بسرعة ماذا نصنع؟».

قال بهلول: «ننقل الخروف إلى تلك الجهة اولاً، ثم ننقل العلف ونرجع بالخروف إلى مكانه الاول، ثم ننقل الذئب إلى تلك الجهة، ثم الخروف».

قفز هارون من مكانه وجلس على ركبتيه، وصاح: «احسنت، احسنت». انتظر بهلول حتى هدأ هارون ثم قال له: «الآن أوفِ لي بوعدك».

قال هارون: «اكتب أسماء الذين تريد اطلاق سراحهم» فلما كتبهم، عرف هارون أنهم من شيعة موسى بن جعفر عليه السلام، فكيف يمكنه الموافقة على اطلاق سراح اعدائه الذين كانوا يجاهدونه بأنفسهم، فإن اطلق سراحهم ماذا يمكن أن يخلقوا له من مشاكل...؟!.

أخلف هارون وعلى عادته ما وعد به بهلول، وقال: «كلا، كلّا، لا يمكن ذلك أبداً».

﴿ الذئب والعلف والخروف ﴾

كان سوق طرح الألغاز حاراً جداً، فقد كان يجلس اعضاء دولة هارون ـ الذين كان اكثرهم من أقربائه ـ يتبادلون بينهم طرح الالغاز بدلاً عن حل مشاكل المجتمع ويحصلون على الجواب فيما بينهم.

وذات يوم كان هارون في زورقه المصنوع على شكل الوزّة وقد أخذ منه الغرور مأخذه، فأمر باحضار بهلول، ونزل بعض الخدم إلى الماء في زورق صغير ليأتوا ببهلول.

وعندما احضروا بهلولاً بين يدي هارون، سأله هارون قائلاً: «هل تستطيع ان تجيب عن هذا اللغز؟».

قال بهلول: «لو استطعت اجبتك».

ضحك هارون بصوتٍ عالٍ، وقال: «إن أجبت عن هذا اللغز أعطيناك مئة دينار ذهبي، وإن عجزت عن ذلك امرنا بإلقائك في ماء دجلة الهائج».

لم يفقد بهلول سكينته ووقاره المعتادين، وقال : «لا حاجة لي بذهبك، لكني اشترط عليك أني إن اجبتك عن هذا اللغز كان عليك اطلاق سراح مئة من السجناء ممن احب، وان لم اجبك فأنا مستعد للإغراق في دجلة».

ولما نظر الحاكم إلى من حوله وقد كانوا يؤيدون كلام بـهلول برؤوسهم، صاح الحاكم بهم: «هل تعرفون عني البخل؟».

اجابه الحاضرون في القصر بأجمعهم من حـيث لا يشـعرون: «نعم يا مولاي».

صاح بهم بغضب: «ثكلتكم امهاتكم» ثم انصرف عنهم لكي لا يرى منهم الهمز واللمز بسبب ما حدث.



العروج إلى السماء

كان هارون الرشيد كثير المزاح مع بهلول، وأيضاً كان من يحضر في القصر من القادة وغيرهم يمزحون مع بهلول.

حاول بعض الحاضرين يوماً فتح باب المزاح مع بهلول فقال: «هل تعلم ماذا فعلت؟».

قال بهلول: «عمّ يتحدّث حضرتكم؟».

قال الرجل: «تشبهت بالمجانين وأخذت تجول الأسواق والطرقات حافي القدمين، فقد جعلت نفسك بذلك سخريةً للناس».

قال بهلول من دون امتعاض: «تفضّلوا إن امكنكم عرّفوا لي نفسكم».

قال الرجل: «من العجيب أنك لا تعرفني، ألم تعلم أني من المقرّبين في دولة هارون الرشيد؟».

تبسّم بهلول وقال: «إن كان لك مقام عند هارون فهل لك مثل ذلك المقام عند الله تعالى؟!».

قال الرجل ـ وقد وجد بذلك فرصة التعريف بنفسه ـ: «لي عند الله درجةً من القرب والمنزلة بحيث صرت اعرج إلى السماوات وبعد مدة من السير فيها انزل إلى الارض».

قال بهلول: «هل ضرب وجهك شيء ناعم عند عـروجك إلى السماء؟».

قال الرجل بلا تأمل: «نعم، ضرب وجهي ما تصف كراراً».

وبعد هنيئة قال الرجل: «اعتقد أن الذي ضرب بوجهي جـناح الملائكة؟».

قال بهلول: «اقسم بنفسك الشريفة أن الذي ضرب وجهك هو ذيل حماري».

ضحك الحاضرون من الرجل وحسّنوا عقل بهلول وفطنته .

﴿العبور على الصراط﴾

كان يذهب بهلول في بعض الأوقات إلى المقبرة ويجلس على القبور، ثم يقرأ الفاتحة للأموات سواء كان يعرفهم أولا.

وذات يوم وعلى عادته كان بـهلول قـاصداً مـقبرة المسـلمين فصادفه في الطريق هارون الرشيد وهو يريد الذهاب إلى الصيد، فلما رآه هارون سأله قائلاً: «ماذا تفعل هنا يا بهلول؟».

اجابه بهلول وكان جالساً على قبر من القبور: «جئت أُناساً لا يغتابون أحداً ولا يرجون مني شيئاً ولا يؤذوني».

نزل هارون من فرسه وأمرّ يديه على أُذني فرسه ثم خطـا نحو بهلول وقال: «اريد أن أسألك عن شيء».

قال بهلول: «إن كنت اعلم جواب مسألتك أجبتك».

وقف هارون على القبر الذي كان بهلول جالس عـنده وقـال: «أخبرني عن الصراط وأخبار الآخرة».

نهض بهلول من على القبر ووقف إلى جانب هـارون ـ وكـان مطرقاً إلى الارض ـ ثم قال لهارون: «قل لهؤلاء أن يوقدوا ناراً هنا».

أمر هارون من حوله ليذهب في طلب الحطب، فلما أُحضرت النار قال بهلول لهارون أن يأمر له بطشت فيضعوه على النار، فـلما

نفّذوا أمر هارون واشتدت حرارة الطشت قال لهارون: «يا هارون، سوف اقف على هذا الطشت ثم اعرّف نفسي وما اكلت وما لبست، فإن أتممت كلامي تقف أنت أيضاً وتفعل مثل ذلك».

قال هارون ـ وهو لا يعرف ماذا يعني بهلول ـ متعجباً: «هل بامكانك أن تذكر لي ما هي فائدة ذلك؟».

قال بهلول: «سألت فاسمع مني الجواب وأفعل ما آمرك به».

كان هارون يخشى الوقوف داخل الطشت فحاول صرف بهلول عمّا ينويه، فقال لبهلول: «عليك أن تفعل ذلك أنت اولاً».

كان يُشم من كلام هارون رائحة الخوف الممزوج بالتهديد، لكن ذلك لم يكن ليثنِ بهلولاً عن عزيمته فقال: «نعم، أفعل ذلك أنا اولاً» ثم ذهب إلى الطشت فوقف في وسطه وقال: «أنا بهلول، طعامي التمر وخبز الشعير والخل، ولباسي من الصوف» فلما اتم بهلول كلامه خرج وليس في قدميه آثار الحروق.

والآن أيها الاصدقاء الأعزاء وصلت النوبة لهارون، تقدم هارون وقد أمسكوا به من تحت ابطيه ليخلع نعليه، وكان من حوله ينظر اليه نظر المشفق، فقد تقدم وهو يلفظ أنفاسه بسرعة والعرق يتصبب من جبينه، وأخيراً خلع نعليه ودخل الطشت على عجل، فلم تكن له طاقة الوقوف اكثر من لحظة قال فيها: «أنا هارون...» ثم قفز بسرعة.

لم يجرأ من كان حول الرشيد على الضحك من هارون وحاولوا أن يمسكوا امام أفواههم.

لم يكن يستطع هارون الوقوف على قدميه أمام حاشيته، فأخذ ينظر إلى من حوله وقال لبهلول بغضب: «قل لي الآن ماذا أردت من ذلك؟».

تبسّم بهلول وقال: «اعلم أن يوم القيامة بهذا النحو، فان الذين لا يملكون في الدنيا مالاً ولا ذهباً يعبرون الصراط آمنين، وأما من كان متعلقاً بالدنيا وزبرجها فليس له قدرة العبور على الصراط، فان من كان كذلك يسقط في جهنم في اللحظة الاولى من وقوفه على الصراط».

سبيل الغنى

كان بعض الذين يعرفون سلامة عقل بهلول وكمال ايمانه يأتونه ويطرحون عليه مشاكلهم والاسئلة المشكلة عليهم فيأخذون منه الجواب عنها.

وكان بهلول في مقام الجواب يذكر احياناً قصصاً تكون جواباً مناسباً لذلك السؤال.

وذات يوم سأله أحد هؤلاء، وكان صديقاً له، فقال: «كيف يرزق الله تعالى الانسان، ولماذا يكون بعض الناس اغنياء والبعض الآخر منهم فقراء؟»!.

قال بهلول: «اعلم يا أخي العزيز، أن رزق الانسان في الدنيا له قدر مقدور، فان شاء الله أن يكون الانسان غنياً كان كذلك».

قال الرجل: «بيّن لي ذلك اكثر».

قال بهلول: «إن احببت فاستمع إلى نقل هذه القصة».

رضي الرجل بذلك، وبدأ بهلول يقص قصته عليه، فقال:

«نزل بالناس في بغداد مجاعة وقحط، بحيث قلّ في تلك الايام الخبز وسائر المواد الغذائية، فكان الناس الضعفاء لا يتمكنون من اشباع بطون من يعولون.

وفي تلك الايام الصعبة من المجاعة وهب تاجر في بغداد ثروته ورأس ماله إلى الفقراء، ثم كتب إلى أحد أصدقائه في الهند رسالة طلب فيها من صديقه ـ الذي كان تاجراً في بيع وشراء الشاي ـ أن يرسل اليه في أسرع وقت ١٠٠ صندوق شاي على عنوانه في بغداد ليبيعها وينتفع بحاصلها». هذا مع علم تاجر بغداد بأن الوضع المعيشي للناس آنئذٍ متردىء جداً، وبعد أن فرغ من كتابة الرسالة وضعها في زاوية ليجف حبرها.

«ومن التقدير الالهي وضعت ذبابة خرئها على عدد ١٠٠ في الرسالة فصار ١٠٠٠، ذلك أن الله تعالى أراد أن يجزي التاجر على احسانه خيراً لأجل إعانته الضعفاء ومساعدته الناس».

ازداد صديق بهلول إلى سماع ما تبقى من القصة شوقاً، وفي تلك الأثناء تبسّم وقال: «يا لها من قصة عجيبة، إذ كيف لم يلتفت التاجر عندما وضع الرسالة في الظرف إلى ذلك؟».

قال بهلول: «إني أعتقد أن هذه الذبابة وضعت بأمر الله تعالى على العدد ١٠٠ فصيّرته ألفاً».

قال الرجل: «ولماذا تعتقد ذلك؟».

قال بهلول: «صبراً حتى تسمع ما تبقى من القصة حينئذٍ تعرف ذلك» وبعد هنيئة استردّ فيها بهلول أنفاسه، قال: «لما وضع التاجر الرسالة في الظرف لم يلتفت إلى تغيير عدد ١٠٠ إلى ١٠٠٠، لذا فقد ارسلها إلى الهند».

ولما قرأ التاجر في الهند رسالة تاجر بغداد ونظر فيها انه قد

طلب منه الف صندوق من الشاي، وضع الصناديق في السفينة وارسلها إلى بغداد.

ولكن حيث كان السفر منحصراً بالبر والبحر في ذلك الوقت كان حصول التأخير في نقل البضاعة من بلد إلى بلد اشهراً امراً طبيعياً، وهكذا وبعد اشهر وصلت بضاعة الشاي إلى بغداد.

وبعد وصول البضاعة إلى بغداد تضاعفت قيمة الشاي وارتفع سعره، لأن وصول الرسالة وارسال الشاي استغرق مدة طويلة جداً.

ولما بلغ بهلول إلى هذا الموضع من القصة سكت ثم نظر إلى وجه صديقه الذي ازداد شوقاً إلى سماع تتمة القصة وقال: «فلما رأى تاجر بغداد هذا العدد من صناديق الشاي تعجب من ذلك وقال في نفسه: لنبع الشاي ثم نرى عاقبة الامر» ثم ارسل رسالة إلى الهند وسأل فيها عن سبب ذلك.

وبعد عدة اشهر وصل جواب رسالته من الهند، وكان فيها: «ان هذا العدد من صناديق الشاي أنت الذي كتبته اليّ وطلبته مني».

نعم ايها الاصدقاء الأعزاء: إن لم نسمع بقية القصة من لسان بهلول لأمكننا الحدس بعاقبة امر التاجر البغدادي الذي قدم خدمات جليلة إلى الضعفاء ايام القحط والمجاعة، حيث كان من المترقب أن ينال جزاء عمله بالاحسان من الله تعالى مقابل الانفاق في سبيله.

هذا، ولكن لم تتم قصتنا بعد، فلنعرّج مع بهلول إلى سماع قصة أُخرى من لسانه لها علاقة بقصتنا هذه: قال بهلول: «كان في قبال تاجر الشاي في بغداد تاجر آخر يتّجر ببيع وشراء السكر، وكان

تاجر السكر قد استغل الوضع المتأزم الذي كان يعيشه الناس في ذلك الزمان، فهو ليس لم يقف إلى جانب الضعفاء فحسب بل اشترى بكل ما في يده من رأس مالٍ سكراً وأخفاه في مخزن لحفظ الماء في داره وكان المخزن قد جف من الماء».

سكت بهلول هنيئةً فبادره الرجل الذي كان متشوّقاً لسماع بقية القصة قائلاً: «ألم يُجري مسؤول الماء في مخزن التاجر الماء؟»[1].

قال بهلول: «سدّ تاجر السكر مجرى الماء الذي يصب في مخزن داره وأوصى مسؤول الماء أن لا يجري الماء في مخزن داره، لكن عاقبة الخيانة السيئة تعود على الشخص نفسه، وذات ليلة لم يعرف أحد ما الذي حدث لتاجر السكر، فقد جرى الماء إلى مخزن داره وهو لا يدري في تلك الليلة ما جرى.

لم يكن مسؤول الماء يعلم بذلك، فقد أجرى الماء في مجاري أُخرى فجرى إلى المحلة التي فيها بيت التاجر».

على الاصدقاء أن يحدسوا موقف التاجر عندما رأى الماء قد جرى في مخزن السكر.

ولما أتم بهلول القصة قال لصديقه: «هل علمت الآن أن الله تعالى يفعل ما يريد، وأن على الانسان أن يخطو في سبيل رضا الله والطريق المستقيم؟».

كان صديق بهلول يعلم أنه لو طلب من بهلول أن يقص عليه

---

(١) كان في قديم الزمان مخازن للماء في البيوت، وكان هناك مسؤول لإجراء الماء في مجاري تصب الماء في تلك المخازن.

قصصاً أُخرى لقصّ عليه، ويعلم أيضاً أن كل ما يقوله بهلول ـ الذي هو بحسب الظاهر مجنون ـ نابع من صميم عـقله وتـدبيره، ولذلك شكر بهلول على ما سمعه منه ثم ودّعه وانصرف إلى عمله.

بهلول والقاضي

جاء رجل يوماً إلى دار القاضي في بغداد واشتكى عنده من رجلٍ ظلمه.

قال القاضي: «وما الذي حدث لك معه؟».

بدأ الرجل يقص على القاضي ما جرى له مع الذي ظلمه، فعلم القاضي أن الذي ظلم الرجل هو أحد أصدقائه.

وبعد أن علم القاضي أصل الدعوى قال في نفسه: «يا للمصيبة، وقع صديقي في الورطة».

فكر القاضي في وضع حلٍ مناسب يمكن بسببه أن ينصرف الرجل عن شكايته، فسأل الرجل ـ بعد ان تم كلامه ـ: «هل هناك من يشهد على ما تقول؟»

قال الرجل: «نعم، لي شاهد على ذلك».

قال القاضي: «ومن هو شاهدك؟».

قال الرجل: «شاهدي على ذلك بهلول».

فزع القاضي من سماع اسم بهلول لأنه كان يعرفه جيداً.

نعم أيها الأصدقاء، لم يكن للقاضي بدٌّ من القبول في احضار بهلول إلى المحكمة.

ولما ذهب الرجل في إثر بهلول، وبقي القاضي لوحده قال في

نفسه: «اذا جاء بهلول سوف أسأله أسئلة لا ربط لها بالدعوى حتى يتضجر فينصرف».

وبعد ساعة حضر الرجل ومعه بهلول، فلما رآهما القاضي استوى جالساً وسعل قليلاً ثم قال لبهلول: «هل تشهد لهذا الرجل على ما يدعيه؟».

نظر بهلول إلى القاضي وقال: «نعم».

فكّر القاضي قليلاً ثم قال: «هل قرأت القرآن؟».

قال بهلول: «نعم، حفظت القرآن بأجمعه».

سأله القاضي ـ وقد عقد بين حاجبيه ـ فقال: «هل تعرف الأحكام الشرعية؟».

قال بهلول: «اعرف من الأحكام اكثر من المقدار اللازم».

قال القاضي: «هل غسّلت ميّتاً».

تبسّم بهلول وقال: «هذا عمل اجدادي وأسلافي».

قال القاضي ـ بعد أن جمع يديه ورجليه ـ: «اذا غسّلت ميّتاً ووضعته في القبر ماذا تقول؟».

اجاب بهلول على البداهة: «اقول: هنيئاً لك متّ ولم يحضروك شاهداً عند القاضي».

تغيّر لون وجه القاضي بسماع ذلك من بهلول وترددت الكلمات على شفتيه، وأدرك انه لا يتمكن من مواجهة بهلول، فلم يكن له بدٌّ من قبول شهادته.

نعم أيها الأصدقاء: حلّ بهلول بسكينته ووقاره مرة أُخرى مشكلة أُخرى، وأرجع بذلك الحق إلى صاحبه.

سجود الموجودات

سافر بهلول إلى البصرة فاستأجر غرفة في بيت قديم فيها، كانت اجواء البصرة تلك الأيام متغيرة، فقد كان الهواء عاصفاً فيها.

ذهب بهلول إلى غرفته ليستريح فيها لكن الهواء صار يضرب بالباب، اطبق بهلول جفنيه وحاول أن ينام، لكنه بقي ساعة على الفراش يقظاً، فان صوت وأزيز الهواء أخذ يشتد في كل لحظة بحيث سلب النوم من عيني بهلول.

نهض بهلول ليتأكد من قفل الباب والشباك هل باقٍ في موضعه أم لا؟ فوجدهما ساكنين ولم يكن الصوت منهما.

وقف بهلول في زاوية من الغرفة وأخذ يستمع جيداً فعلم أن الصوت كان من الأعمدة الخشبية لسقف الغرفة، فان هذا الصوت كان يهدد بوقوع حادثة مرعبة.

أسرع بهلول إلى الباب وفتحه فدخل الهواء ـ وكان شديداً جداً ـ إلى الغرفة، نادى بهلول صاحب الدار كراراً فلم يجبه أحد، كرر بهلول مناداة صاحب الدار من وسط الدار بصوتٍ عالٍ فلم يسمع من أحد جواباً.

لم يكن يعلم بهلول غرفة صاحب الدار لأن الغرف كانت عديدة

ومحيطة بالدار وفي كل واحدة منها جماعة من المستأجرين.

حاول بهلول أن ينادي مرةً أُخرى لكنه سمع أن بـاب احـدى الغرف قد انفتح وخرج منها صاحب الدار وهو غضب ومتكدّر مـن صوت بهلول الذي ازعجه، فقال: «ما الذي حدث لك حتى أخذت تصيح وسط الدار؟».

أشار بهلول إلى غرفته، وقال: «غرفتي... ، إن أعمدتها الخشبية تعطي صوتاً رهيباً».

وضع صاحب الدار فانوساً كـان بـيده عـلى الارض ثـم سأل بهلولاً: «لم أفهم ما أردت؟ ماذا تقول؟».

قال بهلول مرة أُخرى: «أخاف أن تنكسر اعمدة سقف الغـرفة وتسقط على رأسي».

فهم صاحب الدار ماذا يريد بـهلول لكـنه احب المـزاح مـعه، فقال: «يا حضرة الشيخ، لا ينبغي لك أن تخاف من هـذا الصـوت، لأنك مؤمن وموحد لله تعالى».

قال بهلول بكل سكينةٍ وهدوء: «أخي العزيز، ما علاقة الايمان والتوحيد بخراب السقف وسقوطه؟».

كان صاحب الدار يـتصور أن بـهلولاً رجـل بسـيط ويـمكن خداعه، فقال: «يا حضرة الشيخ، إن جـميع المـوجودات تسـبّح لله وتذكره، وأعمدة غرفتك الخشبية أيضاً مشـغولة بـالتسبيح والذكـر، وهذا الصوت الذي تسمعه هو صوت تسبيحها وذكرها لله».

تبسّم بهلول وقال: «لقد صدقت، لكن حيث أن بعد كـل ذكـر

لسجود، فإني أخاف من أن تخرّ هذه الأعمدة ساجدةً لله، فالأفضل لك أن تجد لي حلّاً».

فلما سمع صاحب الدار جواب بهلول عرف أنه رجل ذكي ولا يمكن خداعه، فصمم أن يعطيه احدى الغرف الأُخرى في الدار.

المحتويات